روايات عصير

جيسيكا هارت

واحة القلب

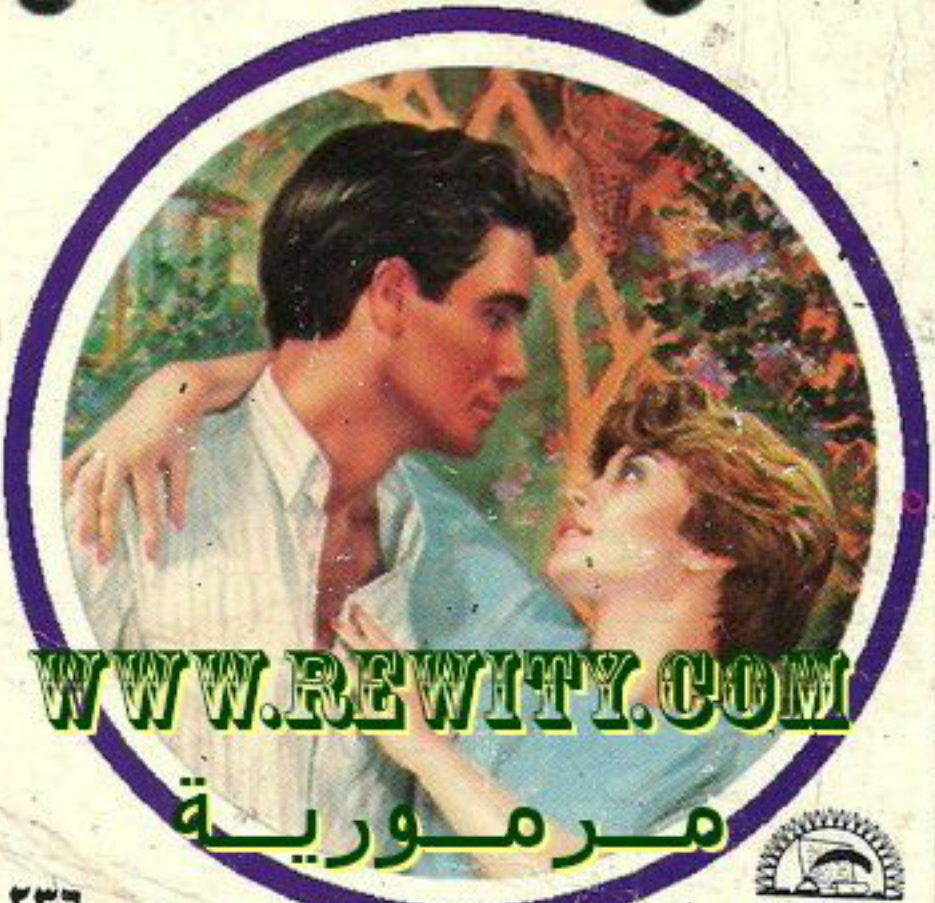

WWW.REWITY.COM

مرمورية

٢٣٦

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 236

واحة القلب

كايرو رمقت ماكس بنظرة . وكان ينظر إلى النجوم حيث كان يفكر ثم حولت نظرتها لتتفرس قسمات وجهه واستقرت على فمه مما جعلها تشعر برعشة خفيفة داخلها .

وقالت لنفسها هذا مجرد رد فعل . وإن أى أحد يشعر بأنه غريب بعد ليلة بدون نوم . لم تكن فى الحقيقة تريد أن تلمسه وأن تجعله يستدير ويبتسم لها ويقبلها ويقول بالطبع أنه يريد أن يراها ثانية . لقد كانت قلقة بشأنه جدا فى بضع الساعات الماضية وهى الآن تنتابها الهواجس معه ، هذا كل ما فى الأمر .

أدار ماكس رأسه ليجدها تراقبة وتلاقت عيونهما . شعرت كايرو كما لو أن يدا تعتصر قلبها بشدة . فلم تستطع التحرك ولم تستطع التنفس :

لبنان	٢٢٥٠ ل.ل	الكويت	٣,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر
سورية	٤٠ ل.س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣,٠٠ ق

U.K. 2,40
France F 16
Greece Drs 320
Cyprus £ 2,40

حرره عاطف
الثانوية العامة
الصف الثالث

الفصل الأول

« ماكس فالكونر ؟ أنت محظوظة . إنه هو الذى هناك .

تتبعت نظرة كايرو الإصبع الذى يشير إلى مكان رجل نحيل علاه التراب يقوم بتفريغ معدات من سيارة بيك ـ آب متربة بنفس القدر . لم يكن ماكس يعى اهتمامها حيث توقف وخلع قبعته ليمسح جبهته بظهر ذراعه فى إشارة تقول لكايرو أنه يشعر بالحرارة والتعب كما تشعر هى .

توقفت عيناها الخضراوتان عليه قليلا متشككتان . ماكس فالكونر هو الذى سيساعدك ، قالوا لها هذا . لن يتسنى لك مرشد أفضل منه ، أخبروها بذلك . ماكس يعرف طريقه حول الهضبة وأى بدوى كذلك .

لقد أسر كايرو ماتم إخبارها به عن الرجل الإنجليزى الذى جعل منزله فى الصحراء ، وقد تخيلته فى سرها أنه متوهج وشخصية رومانسية إلى حد ما ، إلا أنها وهى تراقبه يفرغ سيارته بطريقة منهجية شعرت بوخزة خيبة الأمل . لم يكن ذلك الرجل رومانسيا بالمرة . إنه مجرد رجل بدا متعباً وغاضباً .

هل أنت متأكد أنه هو ؟ سألت كايرو المهندس الشاب الذى توقف ليعطيها التوجيهات .

ضغط المهندس على أسنانه وقال : « إنه هو ، نعم . هناك ماكس فالكونر واحد » .

كتمت كايرو التنهيدة . ما من شىء يبدو على ما يرام مثلما توقعت هذه الرحلة أن تكون . ما من مرشدين فى متناول اليد فى المدينة إلا أنه عندما تم

إخبارها عن الجيولوجى الإنجليزى ارتفعت معنوياته مرة أخرى . مرة أخرى . سيكون من الأفضل لو كان لها رفيق ودود يتكلم الإنجليزية بالنسبة للرحلة ، خاصة لوكان مسليا مثلما فهمت أنه كذلك . لم تتأثر عيناها الخضراوان الآن وهى تتفرس فى ماكس فالكونر . كان بعيدا جدا عن كونه شخصية متوهجة كما تصورته . حقيقة لم تتخيل أى أحد يبدو قليل التوهج . كان هناك لديه جو قاتم وسيماء كبح العواطف ، وهناك شعور بضبط النفس ، ولو أنها أقرت بأنه يبدو أكثر من كفء ، ويبدو أنه غير ودود جدا . شعره بنى اللون عادى جدا وما تراه من وجهه يعطى تعبير الحذر . إن آمال كايرو فى مرشد خلاب ورفيق ملائم تلاشت بسرعة .

ذكرت كايرو نفسها بأن المتسولين لا يملكون حق الاختيار . لابد وأن تصل إلى تلك الهضبة ولو كان ماكس فالكونر هو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يأخذها إلى هناك ، وحينئذ عليها أن تتحمله وتصبر عليه .

استدارت مبتسمة وشكرت المهندس وبدأت تتلمس طريقها عبر الضخر الرملى وقطع الدبش الصغيرة نحو ماكس . راقبها المهندس آسفا وهى ذاهبة فى طريقها . فالفتيات الجميلات رابطات الجأش قلما تتم رؤيتهن فى بيئة حول موقع بناء فى الصحراء ، وعيناه تستقران على أرجلها الطويلة الرفيعة تلمعان فى الحرارة الملتهبة للشمس وهى تقترب من سيارة البيك ـ آب .

لم تشعر كايرو بأى شىء سوى الهدوء برغم المظاهر المحيطة . كانت الحرارة ساحقه وضوء شمس الصحراء الجاف بدا كأنه يشب من حولها ويومض فوق شعرها كالمعدن ، مما جعلها ترغب لو كانت فى منزلها فى لندن المبللة الباردة ولو لفترة من الربيع . قالوا لها إن ماكس فالكونر ظل فى شوافرار سنوات ، وأنه فى الحقيقة اختارها ليعيش فيها . لم تتصور كايرو أن أى أحد يريد الحياة فى هذا الفرن البنى القاحل من البلد . وإنها بقدر ما تراه فلم يكن هناك سوى القليل من الصخور وروتين الفوضى وميل بعد ميل من صحراء منبسطة لا معالم بها .

سارت الطريق المترب وهى تفكر فى شوارع المدينة الرائعة ونسيت ماكس لمدة بسيطة إلا أنها أدركت فجأة أنه اعتدل ويراقبها وهى تقترب . التقت نظرتها به من خلال قيظ الحر وهى تترنح .

عيناه مضيئتان فى وجهه الذى حرقته أشعة الشمس وكان باردا إلى حد بعيد وفجأة قاومت الإلحاح بأن تتراجع . ولم يتسن لها أن تعرف لون عينيه . عرفت أنهما باردتان غير مكترثتين، جعلا قلبها يترنح .

عاد ماكس إلى السيارة مما حررها من النظرة الفاترة ثم أخذت كايرو نفسا حادا لا إراديا . شعرت أنها مضطربة . كان هناك شىء فى عينيه أجبرها على أن تعيد ترتيب أفكارها عنه ثانية . إن القسوة التى لاحظتها من مسافة تخفى جوا مميزا من القوة المكبوتة لا يمكن إخطاؤها من نقطة قريبة . هذا جيولوجى قدير غير فاتر . هذا الرجل صلب العود ومؤثر .

كانت محقة فى حدة الطبع . حاجباه متصلان فوق أنفه وفمه متجهم . بعد نظرة واحدة تجاهلها . وهناك شىء فى طريقة تفريغ السيارة جعل شعرها يقف ،

« هل أنت ماكس فالكونر ؟ » جاء صوتها أكثر حدة مما كانت تقصد . وفقدت توازنها من تأثير عينيه غير المتوقع لكن ذلك كان بسبب لمعانها جدا فى وجهه القاتم ، وهذا هو السبب الذى أوضحته . إنها من المؤكد لن تدع نفسها خائفة من ذلك !

رفع ماكس صندوقا معدنيا من السيارة ووضعه باحتراس على الأرض قبل أن يجيب . « ربما كريس أخبرك من أنا أو أنه لم يوضح عنى شيئا » . وأضاف ذلك الصوت العميق « ولماذا تهتمين بسؤاله إن لم تصدقيه ؟ » « لماذا لم تقل نعم أو لا؟» قالت كايرو . كان يوما طويلاً . كانت تشعر بالحرارة والتعب ومتبرمة من التجوال مينيسيت فى البحث عن رجل يصبح سيىء الطبع . لو لم ترد منه خدمة!

أخذت نفسا عميقا ، وخلعت نظارتها الشمسية لعله يرى من يتكلم معها، وأجبرت نفسها على أن تبدو سعيدة . « إسمى كايرو كينجسوود » .

أغمضت عينيها نصف إغماض من وهج الشمس إلا أنها شاهدت حملقته فيها قبل أن تعود نظرته إلى السيارة المتربة . هناك شيء خطر ببال كايرو ، ربما يكون اعترافا ، إلا أنها أنحته جانبا . تذكرت لو أنها كانت قد تقابلت مع أى أحد قط مثل ماكس فالكونر من قبل أم أنها لم تقابل مثله ! تنظر إليه وهو يرفع الصناديق كما لو أنها غير متواجدة هناك ! حتى أنه لم يعترف بتقديمها نفسها إليه .

«عندى مشكلة بسيطة» ، قالت كايرو أخيرا ، وعندما بدا واضحا أنه لا يقول شيئا أضافت « كل واحد أخبرنى أنك الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يساعدنى » .

رفع ماكس آخر صندوق وأغلق الباب الخلفى للسيارة . ومسح يديه فى بنطلونه الكاكى ونظر إلى كايرو أخيرا . « من هو كل واحد ؟ » ونظرت إلى عينيه وعرفت أنها خضراء باهتة .

« كل واحد تكلمت معه منذ أن وصلت إلى شوافرار أمس» ، قالت كايرو وأبعدت تركيزها عن عينيه وعادت إلى المشكلة . وفكرت فى إحباطها صباحاً وهى تدور حول مينيسيت لكثرة الأسف والنصيحة : إبحثى عن ماكس فالكونر . الآن ، وجدته وطلبها فجأة بدا غير بسيط .

ترددت لحظة ثم أشارت وبيدها النظارة تجاه الهضبة العريقة التى ترتفع عن الصحراء المنبسطة من على بعد . وبدت كمنضدة فسيحة من الصخر وعرفت أنها ممتدة لمئات الأميال ، واهتزت كايرو من التفكير فيها إلا أنها هى المكان الذى ستذهب إليه وقالت : « إنى أحتاج إلى مرشد ليأخذنى إلى هناك » .

قال ماكس كثير من المرشدين فى مينيسيت ، وردت كايرو « لكن ما من مرشدين هناك . ولم أحسب أن شوفرار بلد مسلم . ورمضان ينتهى الليلة ، لذا كل واحد يحتفل بعيد الفطر ولن يذهب أى أحد إلى أى مكان لبضعة أيام قادمة . وأنا لا أستطيع الانتظار حتى عودتهم من الأجازة » .

كان ماكس غير متعاطف وقال « كان يجب أن تفكرى فى ذلك من قبل » ودخل ماكس السيارة ليلتقط مذكرة من تابلوه السياره ، وأضاف « لم يكن الأمر ليستغرق وقتا لمعرفة وقت الأجازات المحلية وذلك قبل مغادرتك وإذا كنت قد إهتممت بالبحث فى هذا الأمر لوجدت أن هذا الوقت ليس هو وقت الصحراء فى أى شكل كان . فالجو حار جدا لأجل تسلق الهضبة الآن . وموسم السياحة إنتهى منذ شهر » .

ـ إحتجت كايرو وهو يعتدل حينما قالت : « لقد قيل لى إنك تصعد الهضبة فى كل الأوقات » .

ـ « فعلا ـ ولكننى لست سائحا » .

ـ « ولست أنا كذلك . فأنا هنا فى عمل » .

ـ « عمل ؟ » ردد ماكس الكلمة وهو يحملق فيها وأضاف « ماذا يمكن أن يكون العمل على الهضبة ؟ »

ـ « أنا هنا أمثل عملائى ، هايدن دين وشركاه » قالت كايرو وهى تحاول إظهار أنها محترفة إلا أن التأثير بذلك أفسده وجههاعندما أغمضت عيناها نصف إغماضة من الشمس . وعادت فوضعت النظارة على عينيها . فالنظارة السوداء تجعلها تشعر بأنها أكثر رباطة جأش وسيدة أعمال . واستمرت كايرو فى الكلام : « هايدن دين شركه إعلان . وهم متلهفون لأخذ لقطات للأزياء باستخدام الهضبة كخلفية » .

إنفجر ماكس فالكونر ضاحكا وقال : « لقطات أزياء على الهضبة ؟ لابد وأنهم مجانين » كانت أسنانه بيضاء قوية وأذاب الضحك خطوط الصرامة التى فى وجهه .

قالت كايرو : إن هايدن دين أبعد جدا من أن يكونوا مجانين ، إنهم مبدعون وشركة ناجحة مسئولة ، فازت بعدد من الجوائز الإعلانات » .

« وسوف يفوزون بجائزة لو حاولوا وقاموا بعمل لقطات تصويرية هنا » .

قال ماكس بحدة . وتوقف عن الضحك ، وتجسدت تلك اللمحة التى فى رجل جذاب فجأة وقال : « ليس لديهم فكرة عما تشبه الهضبة » .

حاولت كايرو الإحتفاظ بهدوءها . لا يجب أن تفقد طبعها الآن ! هذا هو بالضبط سبب وجودى هنا . شركائى وأنا ندير شركة استشارية تقوم بكل أعمال الإتصال والتحضير فى مشروعات عالمية مثل هذه . وعملاؤنا على وعى جيد بالمشكلات المحتلمة لذلك إستخدمونى لاستشكاف المواقع الممكنة وتسوية كل المشاكل قبل أن تصل . وإنه من المؤكد أن هذا مفهوم ؟ وأضافت هذا بحلاوة مصطنعه إلا أن ماكس لم يتحرك .

وضع ماكس المذكرة فى جيبه ، وكان قميصه الأزرق به بقعة زيت على الكم ولم يكن بنطلونه فى حالة أفضل من ذلك . « لو فكرت فى أخذ مجموعة من ناس إلى أكثر الأماكن حرارة وقسوة فى العالم فى منتصف الصيف ، فلابد وأنك فقدت عقلك ! »

قالت كايرو « إن نهاية مايو ليس بصيف ، أنا أعرف أن الدنيا ستكون حراً إلا أنه تم إخبارى بأن الأمر ممكن تماما » .

« يكون الأمر ممكنا لو أنك مهيأة تماما وصلبه ولديك مرشد جيد . وأنت يامس كينجسوود تبدين غير مهيأة لأى من تلك المقاييس » .

ـ قالت كايرو « أنا أكثر صلابة مما أبدو » .

ـ « أنا متأكد من أنك صلبة تماما وبالقدر الكافى عندما تبدأين طريقك » .

قال ماكس وهو ينظر إليها من أعلى إلى أسفل ونظرته الفاترة تقيم جلدها الناعم وشعرها الكثيف وملابسها الرقيقة ، حيث أخذ يتفرس ملابسها وهى تنوره تتدلى حتى الركبة من قماش اللينين وحذاء بكعب منخفض وقميص حريرى بلون الزيتون الأخضر . وقال ماكس : « لقد قابلت نموذجك من قبل ، وأنت تبدين طفلة مدللة بالنسبة لى ، وافترض أنك لم تقومى بعمل يوم كامل فى حياتك ، فلندعه يخشوشن » .

كان هذا الأمر أقرب إلى الحقيقة فى نظر كايرو ، وبعدت نظرها عنه وهى تبدو محبطة . لقد تعبت من أن الناس ينظرون لها على أنها مدللة ، هؤلاء الناس الذين لم يحاولوا معرفتها بصورة أفضل . لم يكن خطأها بأن والدها دللها منذ يوم ولادتها ولم يكن لديها أى خبرة بالعمل قبل الآن ، حسن ، وكل هذا يتوجب تغييره . ولسوف يستغرق الأمر مدة كافية بالنسبة لأى أحد لأن يعطيها فرصة العمل يوما كاملاً !بيير فقط الذى كان مستعدا لأن يعطيها الفرصة والتفكير فى شركاءها والسبب فى وجودها هنا جعلها تتشدد فى تصميمها .

أخبرت ماكس : « إنى أعمل الآن » . ونظرت حولها إلى معسكر المبانى جاهزة التصنيع والطريق المترب الممتد نحو الأفق الفارغ . وأضافت : « إنى أؤكد لك أنى لست هنا للتسلية ! لدى عمل للقيام به على الهضبة وقمت بكمية من الأبحاث عما يحيط بها » .

ـ « لو أنك قمت بأى بحث على الإطلاق لكنت عرفت أنه ما من وسيلة لأخذ فريق إعلانات إلى هناك » . وأشار ماكس تجاه الهضبة التى تبدو كأنها سابحة فوق الأفق الممتد البعيد الساخن . هل عرفت المدة التى يتم قضاؤها فى تسلقها ؟ أحد عشر ساعة ، وهذا إذا كان اليوم جيدا . أحد عشر ساعة تسلق ممر عمودى تقريبا فى درجات حرارة تزيد على المائة درجة ، ولا يمكنك التوقف والاستراحه فترة طويلة وإلا لن تصل إلى القمة قبل الظلام . والهضبة ليست بالمكان الذى تتجولين حوله فى الظلام ، يا كايرو كينجسوود . فهى مليئة بالتشققات والأخاديد الخادعة . فلو سقطت فيها فلن تخرجى منها ثانية » . نظر ماكس إلى تعبيرها المرعب وأضاف « لن تستمرى خمس دقائق » .

ـ « أتريد المراهنة ، قالت كايرو بشجاعة أكبر مما تشعر بها .

ـ « قال : « لا ، لأن الأمر لن يكون إختبارا » . ونفض الغبار عن قبعته ووضعها على رأسه وقال : غير مستعد لأن آخذك إلى أعلى الهضبة ، وهذا هو الأمر » .

أخذت كايرو نفساً عميقا . لا يمكنه أن يرفض بعد استغراق هذا الوقت لأعثر عليه ! وابتسمت ابتسامة مناشدة وقالت : « من فضلك ، الأمر هام » .

نظر إليها ماكس قائلا : « ما المهم فى الإعلام ؟ العمل كله فاسد . كل ما يعمله الإعلان هو بيع صور زائفة لإقناع الناس بإنفاق أموالهم على أشياء لا يحتاجونها وربما لا يريدونها . وإنه بقدر إهتمامى إنه عمل غير شريف وغير هام! »

عضت كايرو على شفتها وبهتت للمرارة غير المتوقعة فى صوته : « لماذا هو معنى جدا بالإعلان ؟ فلا يمكن أن يؤثر عليه بوجوده هنا ! فالعمل هام بالنسبة لى . ولا أستطيع القيام بعملى لم أصعد إلى الهضبة ، وأنت الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يأخذنى إلى هناك » .

قال : « قلبى يدمى لك ، وقام بإغلاق باب السيارة واضطرب قلب كايرو إزاء لا مبالاته .

ربما أبدى قليلا من الإهتمام بتوسلها ! فماذا هى بفاعله الآن ؟ لا تستطيع العودة إلى وطنها وتخبر هايدن دين بأنها غير قادرة على صعود الهضبة . بيير كان معتمدا عليها فى أن تنجح فى هذا ، وهو أول عمل لها ، ولا يمكن أن تخذله . وإذا سار الكلام حول هذا الأمر فإنه لن يعتمد عليها ولن يحصلا على عمل آخر ، فكرت كايرو فى هذا وهى محبطة ، وماذا سيحدث لوالدها حينئذ ؟

راقبته وهو ينحنى لتأمين الغطاء على إحدى الصناديق وقالت له : « ألم تغير رأيك ؟ سألته هذا السؤال وهى كارهة لنفسها بسبب نبرة التوسل فى صوتها .

قال ماكس متسائلا : « ولماذا أنا ؟ » ثم اعتدل وخطت كايرو للخلف بسبب التعبير الذى بدا على وجهه . وأضاف : « أنت لم تتركى انطباعا عندى بكل ما قلتيه عن العمل وإعلانات الجوائز » . شعرت كايرو بالمذلة ، واستطرد : « بقدر إهتمامى ، لو لم يكن هناك رجال إعلانات لكان العالم مكانا أفضل بكثير، وإذا كنت تظنين أننى سأضيع وقتى فى مغامرة غير مسئولة كهذه التى وصفتيها لى، فلابد وأن تفكرى تفكيراً آخر . هل أنا واضح الآن ؟ »

قالت كايرو بصوت متحفظ : « تماما ، وإذا كانت القضية هكذا فلن أهتم بك بعد ذلك » قال ماكس : « من فضلك لا تهتمى » .

هو حقيقة لا يطاق ! استدارت كايرو على عقبيها وعادت إلى الطريق إلى مكان الضيافة وأغلقت باب حجرتها خلفها . رغبت لو لم تكن قد سمعت بها يدن دين أو شوافرار ، وودت لو لم يتحدث إليها بيير بشأن الحضور إلى هنا . كان المكان كابوسا والبيروقراطية أسوأ كان عليها عليها أن تضطر إلى التوسل الأمثال ماكس فالكونر .

كايروا أخذت تجوس فى الحجرة ثائرة . لماذا تشعر بأنها الأقل ، على أية حال؟ إنه مجرد جيولوجى حقير .

تعبت عيناها من الحملقة فى الخارج وغسلت وجهها بالماء البارد . إن المواجهة مع ماكس فالكونر تركتها متوترة ومحبطة ووجهها الغاضب يطل عليها من المرآة فوق الحوض ، ووجنتاها لونهما أحمر من الحرارة وعيناها الخضراوتان اللتان تنظران إلى أعلى تلمعان .

قامت بتشغيل مكيف الهواء وألقت بنفسها على سرير ضيق وهى تتنهد . قال بيير : « كل ما هو عليك هو أن تصعدى على تلك الهضبة واعثرى على موقعين جيدين ، وحددى بضعة حمير لتأخذى كل واحد إلى أعلى هناك الشهر القادم . سيكون الأمر سهلا » .

ـ « سهلا ؟ » ونظرت إلى السقف وهى كشرة . لم تستغرق وقتا لتعرف أن الأمور أبعد من أن تكون سهلة . لو كانت قد خاضت الرسميات المتشابكة للحصول على التصاريح الضرورية من الحكومة لكان الأمر يعتبر لا شيء بالمقارنة بمشكلة الصعود إلى الهضبة فى المقام الأول . لو كانت وصلت أسبوعا مبكرا فقط لاستطاعت أن تجد مرشدا فى مينيسيت لصعدت وهبطت من الهضبة قبل الأجازة بوقت طويل بدلا من اللجوء إلى ماكس فالكونر ـ وفعل عملا طيبا لأجلها!

لماذا لم يختار هايدين دين مكانا سهلا آخر للتصوير ؟ ماكس كان على صواب ، قالت لنفسها . لم يفكر فى كيفية الوصول إلى هناك مع هؤلاء الناس والمعدات المطلوبة .

قال بيير : « هذا هو المدخل ، بمجرد أن يدركوا مدى صعوبة ذلك فسيكونوا مسرورين لأن يتركوننا نعتنى بكل التربيات لأجلهم » .

جلس على المقعد ينظر إلى كايرو التى لم تفق من الصدمة وهى أن يتم إرسالها إلى وسط الصحراء . « ما الأمر ؟ إنه الحظ السعيد الذى تنتظرينه ، يا كايرو ! لو نجحنا فى هذا العمل فلسوف ينتشر هذا النجاح وتنطلق ، وسيشقون طريقا إلى بابنا فى وقت قصير .

وتساءلت « لماذا يجب على أنا أن أذهب ؟ عندما أقاموا استشاريتهم خططوا للعمل فى المدن الأوروبية وليس فى مجاهل إفريقيا الشمالية . كايرو لا تعرف شيئا عن الصحارى سوى أنها لا تريد أن ترى أيا منها .

قال بيير : « لابد وأن يكون هناك من يتكلم الفرنسية ليمكنهم التعامل مع مسئولى الحكومة » . أوضحت كايرو : « أنت تتكلم الفرنسية » .

تردد بيير : « ليس جيدا مثلما تتكلمينها ، بجانب . . أنهم يطلبونك خاصة » .

ـ « يطلبوننى ؟ لماذا ؟ »

ـ « يظنون أن خبرتك الشرق أوسطية ستصبح مفيدة فى مكان مثل شوفرار »

ـ « ماذا ؟ »

إسم كايرو شغل هايدن دين حيث إسمها غير العادى عندما إتصل بهم بيير فى أول الأمر وشغل إهتمامهم المبالغة فى حقيقة خبرتها .

كانت كايرو مرعوبة بيير ، ولدت فى مصر وأمضيت خمس سنوات فى البحرين كطفلة لا يكاد أن يؤهلنى خبيرة بالشرق الأوسط ! حتى لو كان هذا هو

الأمر ، فإن شوفرار هى فى إفريقيا الشمالية فى حالة ما إذا لم تطلع على الخريطة مؤخرا ! .

ـ « قال بيير : « هايدن دين لا يعبأ بهذا . وإن كل ما يهتمون به هو ترتيبات تحديد التصوير . وما الفرق فى هذا ؟ أنا أعرف أنك تقومين بالعمل بأى خبرة أو بدونها ، والشىء هو الحصول على العقد » .

ـ قالت كايرو : « هذا العمل غير أخلاقى بالنسبة لى . حقيقة إنه ينم عن كذب بصورة واضحة .

ـ « لا تخمنى بأن فتاة حديثة مثلك يمكن أن يكون لديها أفكار من الطراز القديم . أحيانا أفكر فى أن القلب الذى يرقد تحت صورتك الوهاجة لا يمكن أن يكون قلبا متزمتا » . وبينما تبدو كايرو متمردة قال : أنظرى ، لا يمكن أن تتركى المبادىء الغبية تقف فى طريقنا لتحول دون فرص كهذه ، وربما تعودين كجرسونة « كمضيفة » ولن تدفعى ديون والدك بهذه الطريقة ، أليس كذلك ؟ »

هذه لقطة غير طيبة ولكن كايرو عرفت أن بيير على صواب . يعتمد والدها عليها الآن .

ـ استمر بيير فى الكلام : « سيكون الأمر سهلا . إذا سار هذا العقد سيرا طيبا فلسوف نرد المال الذى اقترضتيه لتبدئى ثم نبدأ فى الأرباح ، انتظرى وشاهدى . فكل ما عليك هو الصعود إلى الهضبة .

ـ كيف ؟ »

إعتدلت كايرو واستندت برأسها إلى الحائط وتنهدت . يجب أن تفكر . يمكن أن تعيش مع بير وهايدن دين المحبطين لكنها لا تستطيع التخلى عن والدها . لقد أعطاها كل شىء فى الخمس وعشرين سنة الأولى ، والآن جاء دورها لتفعل ما تستطيع لأجله . وراجعت نفسها عندما تحدثت مع ماكس فالكونر . ربما اتخذت الطريق الخطأ للوصول إليه ؟ فقد كانت تشعر بالحرارة والتعب وكان هو كذلك . ربما لم يفهم أنها كانت تعرض عليه اتفاق عمل . لم

يتم ذكر المال وربما اعتقد أنها تطلب منه أن يأخذها إلى هناك من قبيل المعروف .

ها هى ! جلست كايرو باعتدال واقتنعت أنها وجدت سبب عداء ماكس . عليها أن تتحدث إليه الليلة عندما يكونان فى مزاج معتدل وتشرح أنها مستعدة تماما أن تدفع له مقابل خدماته ، ربما يرحب بسيولة نقدية أكثر وقد بنت هذا الحلم من ملابسه الرثة وسيارته العتيدة البالية .

باستعادة الثقة نهضت كايرو من السرير ، وأخرجت أفضل ما فى حقيبتها حتى تصرعه فتنتها ويكون غير قادر على مقاومة الوصول إلى اتفاق ! وفكرت فى أنه بعد أخذ دش وشرب البيرة يمكن الوصول إليه بصورة أفضل . وربما يعتذر عن المرة السابقة . . .

كان من حسن الحظ أنها بقيت بالمعسكر ، وتذكرت ذلك الفندق البدائى فى مينيسيت وهى تستعد للذهاب إلى ماكس . ولو لم تكن قابلت بروس ميتشيل لكانت هناك الآن . بروس هو المدير الإدارى لمعسكر بناء ضخم يبعد عشرة أميال عن مينيسيت ، وهو الذى أخبرها أين تجد ماكس .

« إنه يأتى ويذهب كما يحلو له ، لكن مقره فى المعسكر مع بقيتنا ، لذلك ستكون فرصتك الأفضل فى العثور عليه هناك أفضل من أى مكان آخر ، قال بروس وأضاف : « كما لا تعودين معى ؟ لدينا بعض غرف الضيوف لم تستعمل كثيرا فى فصل الحر ، ولذلك يمكنك البقاء هناك حتى يعود ماكس . ليس المكان كبيرا ـ هناك بارروميز حيث يتناول غير المتزوجين الطعام ـ وأنا أعرف أنهم سوف يبتهجون باستقبال أنثى كتغيير » .

تذكرت كايرو ، أن ماكس فالكونر لم يكن يبدو مبتهجا جدا ، وذلك أثناء ارتداءها ملابسها وأخذت تنظر فى المرآه ، وما رأى ماكس فيها وحاولت أن ترى نفسها بعيون ماكس . وأخذت تتفرس فى وجهها وشعرها ، ولو ن عينيها . وربما يتذكرها ماكس عندما يلتقيان ثانية . وفكرت فى أن ماكس من الطراز الذى من السهل نسيانه أيضا ، وتداعيت صورته أمامها . وكان فستانها إحدى الفساتين

المحببة إليها لأنها تذكرها بالعالم السهل الفخم لوالدها فى الأيام الحلوة . كان الفستان جيد التفصيل من القماش الأسود أظهر مفاتن جسمها وجلدها اللامع ، وجعل كايرو بارتدائه تشعر بأنها فى حالة جيدة .

فكرت كايرو وتساءلت : هل سيظن ماكس أن الفستان جذاب ؟ وقالت لنفسها أنه فى الأحداث الطبيعية ما كانت حتى لتلحظه . فما من شىء خاص فيما عدا عينيه اللامعتين ، وقوته المضطربة . لم يكن به حرارة ولا جاذبية ، لا شىء يذكيه بالمرة . وإن كل ما تريده هو جذبه للقيام لما تريده ولا يهمها الباقى .

عندما أخذها بروس مينشيل إلى البار تلك الليلة ، خمسة وسبعون عين لرجال واقفين فى سكون عند الباب ترقبها . تضايقت كايرو لتجد أنها تحملق حول الحجرة بحثا عن ماكس . وجدته يتكىء على البار فى أقصى الطرف مما جعل قلبها يضطرب . لم ينظر إليها ولو أنه كان محاطا برجال يبحلقون ، وأدركت كايرو كم هو مميز . كان متحفظا ، لم يبتسم فى الغالب .

لو كان ماكس يعى وجودها فى البار ، ولم يبد أية إشارة إزاء ذلك فإن كايرو لم تستطع منع شعورها بالضيق . إنها تعرف تماما أنها فتاة جذابة ، وكل رجل ينظر إليها ويقدرها لكن ماكس لم يلحظ حتى أنها هناك بالمرة .

أصرت كايرو على أن تلفت إنتباهه . إبتسمت وضحكت وتجاذبت أطراف الحديث وتجمع حولها مجموعة من الرجال المعجبين إلا أن ماكس مستمر فى تجاهلها . بدأت عينا كايرو يصيبها الإحباط . كيف تفتنه إذا كان لم يلحظها ؟

ـ سألها بروس وهما ذاهبان إلى الميز لتناول العشاء : « كيف اتفقت مع ماكس ؟ هل سيأخذك معه صباح باكر ؟ »

ـ « صباح باكر ؟ »

ـ « نعم ، أخبرنى بأنه سيعود مباشرة إلى المضبة . عادة هو يبقى هنا لمدة يومين ، لكننى أتساءل ربما بسبب أنك أردت الصعود إلى المضبة بأسرع ما يمكن ووجدت كايرو أنه ما من سبب لتخبره كم كانت مواجهتها مع ماكس .

وقالت : « لم ننه التفاصيل بعد ، فلم أتذكر من أين سيبدأ » .

قال بروس : ربما عن طريق عويد مصرا . أسرع ممر من هناك . وأنا أعرف أن ماكس يذهب من ذلك الطريق . يرسل إمداداته بالحمار وهم يستمرون بطريق سهل لكنه طويل ، لكننى لا أظن أنه سيأخذك إلى ذلك الطريق » .

ـ تساءلت كايرو : « هل الطريق من هنا إلى عويد مصرا يستغرق وقتا ؟ »

ـ « حوالى أربعين دقيقة بالسيارة . يحصل ماكس على سائق ليقوم بتوصيله إلى هناك ، فلاشك أنه سيأخذك معه » .

تناولت كايرو طعامها وعقلها يفكر فى الخطط المتوقعة . لم يكن ماكس موجودا فى الميز ، وعندما ذهبت إلى البار وجدته وكان متجها نحو الباب مستأذنا من بروس ، وخرجت تهرول وراءه .

خرجت من الباب إلى الليل البهيم ووجدت ماكس واقفاً على بعد أقدام ويديه مندسة فى جيوب البنطلون يحملق فى الأرض ويغص فى تفكير عميق . واجتاح كايرو إحساس دون سابق تحذير ، وترددت وكادت تفقد توازنها عندما تأكدت فجأة أنها جاءت وراء ماكس مثل هذا مرة من قبل . قرأت ذات مرة عن التأثير الذى يتسبب فيه رسائل العصب إلى المخ والتى تصل رأسها قبلهم . هذا يفسر على الأقل سبب شعورها بأن هناك شيئا مألوفا عن رجل تقسم بأنها لم تقابله من قبل طول حياتها . وكل ما يشتركا فيه أنهما إنجليزيان . فلم تقابله من قبل . وهى متأكدة من ذلك . تقدمت كايرو منه وقالت : « أهلا » .

التفت ماكس برأسه ولم يرد عليها التحية . أخذ يراقبها بسكون .

« كنت أتطلع لرؤيتك هذا المساء ، قالت بعد لحظة . وجوده الساكن كان مثيرا للأعصاب .

لماذا ؟

كبتت كايرو تنهيدة . ألم يحاول أن يكون مسرورا على الأقل ؟ وحاولت هى أن تبتسم . لقد تركت بروسى ميتشيل ونصف الرجال مشدودين ، ولم تفز هى حتى

برد من ماكس . قالت : « أود أن أعتذر . لم أجد وقتا طيبا حتى أنى أزعجتك بعد ظهر اليوم .

ـ « ليس هناك وقت طيب للمضايقة يا مس كينجسوود ، قال ماكس ، وكايرو ضغطت على أسنانها .

ـ « أظن أننى ربما لم أوضح نفسى جيدا » .

ـ « لست بغبى » أوضح ماكس بصوت أجش وأضاف : « أعرف بالضبط ما تريدين . تريدينى أن آخذك إلى أعلى الهضبة حتى يمكنك عمل خطط بأن تحضرى بعض الناس الذين يريدون تضييع وقتهم ومالهم بأخذ صور فوتوجرافية لشىء لا يحتاجه الناس ولن يستخدمونه فى مكان لا يريدون حتى التعرف عليه؟ ، تذكرت كايرو بأنها صممت على أن تكون جذابة ونجحت فى أن تضحك ضحكه خفيفة مما جعل الأمر فظا إلى حد ما ! »

أخذت كايرو نفسا عميقا وحاولت ثانية . « لا أظن أنك فهمت ما أردته . فكرت فى أنك ربما لا تفهم أننى أقترح إتفاق عمل . لم أطلب منك عمل ذلك دون مقابل . فأنا مستعدة تماما لأدفع لك نظير خدمتك ؟ قال ماكس بهدوء خطير : « الإجابة لا » لا أهتم بالتكاليف ، قالت كايرو وأضافت : هل أنت متأكد من أنك تتخلى عن فرصة مثل هذه ؟ يمكنك أن تكسب المزيد فى رحلة واحدة أكثر مما تكسبه بقية العام » .

بمجرد أن خرجت الكلمات من فمها عرفت أنها إرتكبت خطأ . وقال ماكس : « كفانى ما نلته منك» ، وكان ازدراءه قد جعل كايرو وترتجف .

ـ « لقد قابلت نمطك من قبل . أتظنين أنه بسبب ما لديك من مال وملابس ظريفة فإن كل ما عليك أن تثنى إصبعك وكل شىء وكل واحد سوف يسقط تحت قدميك . حسن ، الصحراء ليست كذلك ولا أنا . ليس كلانا للبيع . لن آخذك أو آخذ أى أحد مثلك إلى القرب من الهضبة ، مهما كان ما تدفعينه لى ، لذلك إرجعى إلى المدينة التى تنتمين إليها وتعلمى ألا تجاوبى بكلمة لا ! » .

الفصل الثانى

عينا كايرو راقبتا السيارة وهى تختفى على بعد أمامها . وعندما صارت كنقطة بسيطة فى سحابة غبار قالت لابد وأنه مجنون !

خيم عليها السكون الثقيل . الصحراء ممتدة أمامها ، منبسطة بنية اللون فارغة على امتداد الأفق وما بعدها . تلوح الهضبة أمامها ، كتلة رهيبة من الصخر تنتهى إلى صخر على شكل دائرة منتشرة فى أرض قاحلة .

لم تشعر كايرو أبدا أنها وحيدة فى حياتها . لم يتحرك شيء . كان السكون مطلقا لدرجة أنها كانت تسمع دقات قلبها ، حتى فى الصباح المبكر ، كانت الحرارة شديدة بالفعل . عادت والتفتت إلى الهضبة التى قررت تسلقها . إن الممر الضيق الحذر يختفى بسرعة فى كومة من الصخور لن تكون قادرة على أن صعود بمفردها . حتى أنها لن تكون قادرة على أن تجد طريق عودتها إلى المعسكر أيضا ، تذكرت هذا بغصة فى معدتها . كان سائق بروس مترددا أن يتركها هنا بمفردها إلا أنها أكدت له أنها رتبت أن تقابل ماكس وأنها ليست بحاجة للانتظار ، وخافت من أنه يتسكع حتى يظهر ماكس ويفسد خطتها . جلست على صخرة وضخامة ما فعلته يراودها . لم ترد أن تفكر فيما لو حدث ولم يأت ماكس .

لم ترد أن تفكر حقيقة فيما لو حدث وجاء ماكس أيضا . حسن ، فات الأوان لتغيير رأيها الآن . كايرو إعتدلت ولم تكن فى حاجة للقيام بمغامرة مثل هذه لو كان ماكس معتدلا ، حيث دمدمت لنفسها . عندما عاد ماكس أدراجه الليلة

الماضية ، كانت كايرو غاضبة جدا حتى أن تصميمها على الذهاب فوق الهضبة بدأ يشتد لدرجة الرفض الفولاذى لتدعه يفلت مع آخر كلمة . إذا فكر فى أنه يمكنه الحصول على أفضل ما فى كايرو كينجسوود ببضع كلمات حادة فإنه هو الذى له تفكير آخر فى العودة . إن كل ما يهم هو عدم ترك نفسها مهزومة من جانب ماكس فالكونر .

ظلت راقدة مستيقظة لساعات تقلب المتغيرات فى ذهنها . خطرت ببالها هذه الفكرة مبكرا بمجرد أن ذكر بروس من أين يبدأ ماكس طريقه إلى أعلى الهضبة إلا أنها رفضتها فى أول الأمر كفكرة متهورة . حيث إنقضى الليل ثقيلا وضح أنه لو أرادت تسلق الهضبة عليها أن تقبل المغامرة .

إستعدت فى الصباح المبكر ورحلت لتجد سائق بروس ميتشيل وهو هندى عندما تأكدت أن ماكس لم يرحل بعد . لقد اندهش السائق لطلبها بأن يقوم بتوصيلها إلى عويد مصرا ، إلا أن بروس قد جعله تحت أمرها لذا فقد هز كتفيه وبدأ تشغيل السيارة . الآن كل ما تستطيع كايرو عمله هو أن بروس يكون على صواب عندما قال إن ماكس سيبدأ الرحيل من هنا .

لو أنه قرر الذهاب من مكان آخر . . .

قالت كايرو لنفسها « لا تفكرى حتى فى ذلك » . وقفزت على قدميها . وأضافت : « فكرى فى والدك بدلا من ذلك » وخففت من حدة وجهها عندما فكرت فى والدها .

ماتت أمها عندما كانت طفلة ودللها جيريمى كينجسوود منذ ذلك الحين وأمطرها بالهدايا والترف الذى يمكن للمال أن يشتريه . كان الأوان قد فات عندما اكتشفت أن المال لم يعد لديه على الإطلاق إلا أنها يجب أن تقف بجواره ضد الفضيحة والعار لأنها تعرف أنه فعل ذلك كله بسببها .

والآن جاء دورها لترعاه ، لقد باعا كل شيء يملكانه ـ السيارات ، واليخوت والمنازل ذهبت ـ وكرست كايرو نفسها لأن تفى بما تبقى من ديونه حتى

يستطيعا البدء ثانية بسجل أعمال نظيف . وإذا كان ذلك يعني المخاطرة فى شمس الصحراء القاسية فليكن هذا ما ستفعله .

حالت عيناها فى المنظر الطبيعى أمامها تبحث عن أى دليل على أنها لم تركب أى خطأ مرعب ، وإرتاحت ركبتاها المرتجفتان عندما أعلنت سحابة من التراب بدت فى الأفق تعلن عن إقتراب سيارة . توسلت كايرو أن يكون ماكس ، وأخفت حقيبة ظهرها عن الأنظار واختفت خلف الصخرة .

كان قلب كايرو يقفز وهى تنظر باحتراس من مخبأها بضع دقائق . وكان هو ماكس . كان يتبادل النكات مع السائق وهو يرفع حقيبة الظهر الخاصة به من العربة .

إبتسامته أضاءت وجهه ، ووجدت كايرو نفسها كالمرة السابقة تفكر فى أنه يمكن أن يكون جذابا عندما يبتسم مثل هذا . وفجأة تذكرت أنها قد قابلته من قبل . . . ولكن أين ؟عندما نزل ماكس وأعلم السائق انطلقت السيارة ولوح السائق بيده من النافذة ، رجعت كايرو إلى خلف الصخرة بسرعة ، واستندت إليها واغمضت عينيها من الفكرة المؤلمة فى أنها تواجه ماكس . شعرت ببرودة الصخرة فى ظهرها وهى تستند عليها . سيكون غاضبا جدا منها .

فكرت لحظة فى أن تظل مختبئة قبل أن يشتد عزمها ثانية ثم اعتدلت . لن تدع نفسها مرعوبة من ماكس فالكونر أو من أى أحد ، ولم يكن أمامها خيار فى ذلك . إذا ظلت هنا فلن يتسنى لها العودة إلى أمان المعسكر .

قالت لنفسها بصرامه واعتدلت : لا تكونى جبانة . فماذا يمكنه أن يفعل لها بصفة عامة ؟ خرجت كايرو من وراء الصخرة بعدما أخذت نفسا عميقا ، وقالت : « أهلا » .

كان ظهر ماكس لها وهو ينحنى ليلتقط حقيبة الظهر واستدار محملقا فى كايرو الهيفاء الرشيقة وهى مرتدية الشورت الطويل الفضفاض والقميص الذى بدون أكمام . وقبعة كبيرة من القش تتدلى من يدها . إنفجر ماكس بعد لحظة

صمت : « ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم ؟ »

ـ قالت وهى تحاول التماسك : « أنتظرك »

ـ قال ماكس : هل لديك مشكلة فى فهم الإنجليزية ؟ لقد أخبرتك من قبل أيتها المرأة وهذه آخر مرة أخبرك ، ومن الأفضل أن تصغى بشدة ، لن آخذك إلى أعلى الهضبة » .

ـ قالت كايرو وهى تنظر إلى عينيه الملتهبتين بالغضب : « فى تلك الحالة فإنى سأتبعك ، ولن تستطيع أن تفعل شيئا حيال هذا » .

ـ « قال ماكس : لن تكونى قادرة على الإستمرار ، ولسوف تضلين فى خمس دقائق » .

ـ ربما ولكنك لن تتركنى مع خيار آخر .

ـ « آه ، نعم ، لن أتركك ، وإن خيارك الوحيد هو أن تأخذى نفسك وتعودى إلى المعسكر ، ثم إلى لندن بأسرع ما يمكن » .

ـ « لا أستطيع »

ـ « ماذا تقصدين ، أنك لا تستطيعين ؟ لقد حضرت إلى هنا ، أليس كذلك ؟ الآن يمكنك العودة » .

ـ « لقد أخبرت السائق بأنى سأقابلك هنا . ولقد غادر بالفعل » .

ـ بعد صمت قال ماكس : « أتقصدين أن تخبرينى بأنك خرجت إلى هنا لتقفى فى درجة حرارة مائة وعشرين وتضيعين فرصة بقاءك على قيد الحياة ؟ »

ـ رددت كايرو : « عرفت أنك ستأتى ، بروس قال إنك عادة تأتى من هذا الطريق »

ـ حملق ماكس فيها غير مصدق : « عادة ، نعم ! ولكننى آتى من ذلك الطريق دائما . كيف تكونين غير مسئولة بصورة غبية ؟ وافترضى لو أننى قررت الذهاب فى طريق آخر هذا الصباح أكنت قد ضللت ؟ وما من أحد فى هذا الوقت من السنة وماكنت تسيرين للعودة إلى المعسكر من هنا ! »

ـ قالت كايرو فى عناد : « يجب أن أصعد إلى تلك الهضبة » .

ـ إرتفع صوت ماكس ليصيح صياحا وقال : « وماذا تحملين فى جعبتك ؟ ما هو الأمر الهام بشأن هذا الإعلان الذى من أجله تغامرين بحياتك ؟ »

ـ شعرت كايرو بوجنتيها تلتهبان وقالت : « أقمت شركة مع صديق . استغرقنا وقتا طويلا لنبدأ أول عمل لنا وجعلنا عليه الآن فلا استطيع العودة إلى وطنى وأقول إننى لم أستطع الوصول إلى الموقع » وأضافت وعيناها الخضراوتان تلتقى بعينيه : « أنا لا أريد أن أتسلق تلك الهضبة بقدر ما تريد أن تأخذنى إليها، ولكنه يجب أن أصل إلى هناك . إن لم أذهب فإن عملنا سيفشل . ولن تتسنى لنا فرصة أخرى مثل هذه . ولم تكن هناك حاجة لأن تذكر قرض أمها فى العهاد وهو عبء على أكتافها أو والدها الرجل المكسور الذى ينتظرها بفارغ الصبر لتجعله ينهض على قدميه .

ـ قال ماكس دون تعاطف معها : « أنت غبية لأن تأخذى هذا العمل . ليست الصحراء مكانا فتاة مثلك » .

ـ رفعت كايرو وجهها فى كبرياء وقالت : « أنت لا تعرف ماذا أشبه » .

ـ نظر إليها ماكس دون ود وقال : « يمكننى أن أخمن تخمينا جيدا . تم تدليلك وانغمست فى حياتك لدرجة أنك ظننت أن العالم يدور من حولك ، ومستعدة لتعاملى بازدراء أى شخص لتشقين طريقك . ولا تهتمين بأنى ربما لا أريد أن آخذك . لا يهمك إذا كنت تعطلينى عن عملى ، ولا تعبأين بالآخرين الذين يغامرون بحياتهم ، ناهيك عن وقتهم ومالهم ، يبحثون عنك . ينبغى أن أدرس خداعك وأتركك هنا » .

ـ أمسكت كايرو عن التنفس وهو يعود أدراجه ويأخذ قبعته بعصبية ويضع أصابعه فى شعره ويقول : « إنك شىء مزعج لعين ! لا أستطيع إضاعة الوقت لأعود بك إلى المعسكر ولا أستطيع تركك تموتين عطشا ، أيا كان مقدار ما قد تستحقينه » .

ـ ثم قالت كايرو : « حينئذ ، هل ستأخذنى معك ؟ » وشعرت بشىء من الراحة إلا أن إبتسامتها خفتت عندما تقدم ماكس منها وأخذ ذقنها فى يد قوية بنية اللون .

ونظرت عينا كايرو الخضراوتان إليه وتعبير الغضب البادى عليه حيث قال : « ربما فزت فى هذه الجولة وما كنت أعتد بها لو كنت مكانك يا كايرو كينجسوود ، ولن أسمح باستغلالى ولو كنت سمعت كلمة احتجاج أو همهمة بذلك ، أقسم أننى لكنت تركتك فى مكانك الذى أنت به الآن . هل هذا مفهوم ؟ »

ـ قالت : « نعم » أرادت أن تبدو هادئة ووجدت أن صوتها لا يزيد عن كونه همس .

ـ تركها وقال : « حسن » .

رجعت كايرو للوراء وأخذت تدلك وجهها حيث كان ممسكا بها ، وآثار أصابعه بادية على ذقنها .

ـ واستمر ماكس فى الكلام : من المفترض أنك أحضرت بعض الإمدادات معك ؟

ـ قالت كايرو : أحضرت حقيبتى التى أغلقها على ظهرى .

ـ قال : « أرينى »

أعطت كايرو الحقيبة إلى ماكس وأفرغها على الأرض ، حيث قالت له : « ماذا أنت بفاعل ؟ »

ـ كلما زاد ما تحملينه كلما أبطأت من صعودى إلى الهضبة ، وأنت لن تحتاجين إلى نصف ما تحملين ، وهذا يؤيد البداية » . أخذ حقيبة مكياجها وألقى بها جانبا .

ـ « لكن مزيل العرق والمنظف فيها ! »

ـ وإذا وجدنا واحة فيمكنك الإغتسال وإلا ستكونين قذره ، وليس هناك ضرورة فى محاولة ترك إنطباع فى ، لأننى الشخص الوحيد الذى ستريه » .

ـ « لن أهتم بإضاعة وقتى فى أن أترك إنطباعا لديك ، وكنت أفكر فى نظافتى الشخصية »

ـ ألقى ماكس بفوطة مع حقيبة المكياج وقال : وأنا أفكر فى شروط البقاء على قيد الحياة . يمكنك أن تفعلى ما أقوله لك فى هذه الرحلة أو يمكنك البقاء ، إن الإختيار هو إختيارك » .

إتخذت كايرو جانب الصمت وهى تراقب ماكس يفرغ نصف الأشياء التى عبأت الحقيبة بها فى الصباح . قرأت كتابا عن الصحراء والبقاء وسرت من نفسها إلى حد ما لكونها عملية . وعندما لحقت البوصلة بالحاجيات إحتجت على ذلك . وقالت : « ربما احتاجها ! »

ـ « لأجل ماذا ؟ »

ـ « حسن . . ربما يحدث لك شىء » .

ـ قال ماكس : من الأفضل أن تأملى بألا يحدث ، البوصلة لا فائدة منها إن لم تعرفين أين أنت ذاهبة . لن تجدين طريقك بمفردك سواء ببوصلة أو بدون بوصلة .

ـ قالت كايرو : « لن أترك الفيلوفاكس ، وقفزت عليه قبل أن يأخذه ماكس ويضمه إلى الكوم ، وأمسكته بشدة كما لو أنها تقبض بيديها على حياتها ، لا يمكن أن تتصور العمل بدونه ، فالفيلوفاكس يحتوى على عناوين وأرقام تليفونات وأرقام حسابات فى البنك ومذكرات عن العمل وقوائم بأعياد ميلاد . . . كل شىء تحتاجه للرجوع إلى أى شىء وقد وضعت كل ذلك فى كتاب أسود اللون ولن تتركه وراءها مهما قاله ماكس .

ـ قال ماكس : « لست بحاجة إلى تحديد مواعيد حيث تذهبين . وما من سبب أن تأخذى رقم فاكس أى أحد وأنت تموتين من العطش » .

ـ « لا أهتم . ولن أغامر بتركه . أشعر بأنى تائهة بدونه »

ـ هز ماكس كتفيه وقال : « لكن لا تلوميني عندما تجاهدين لأن تحملى

متاعك » ونظر إلى الأشياء وقال :

ـ هذا أكثر من القدر الكاف » . وبدأ يضعها فى الحقيبة . ونظر إلى البنطلون وهو يضعه فى الحقيبة .

ـ قالت كايرو : « وماذا عن أشيائى الأخرى ؟ »

ـ « ماذا بها ؟ »

ـ « لا استطيع تركها هنا . ربما يسرقها أحد » .

ـ رد ماكس : « لو أظن أن أحد سيأتى ويسرقها ، فسأتركك هنا للتعامل معها ، أتركيهم وراء تلك الصخرة وضعى حجرا أبيضا فوقهم . وإذا أتى أى أحد فيتعرف أنها حاجيات شخص آخر ـ وافترض أنهم سيهتمون بالزبالة . لا أتصور أى أحد يجد فائدة من المكياج فى الصحراء » .

ـ قامت كايرو برفع علبة المكياج ونجحت فى أن تدسها فى حقيبة الظهر مع الفيلوفاكس بينما كان ماكس يبحث عن حجر أبيض اللون ، واعتدلت قبل أن يحضر ماكس وعيناه متشككتان .

ـ سألها ماكس : ماذا تفعلين ؟

ـ لا شىء « أنتظر أمرك التالى » .

ـ أنت لا تدركين الموقف الخطير الذى وضعت نفسك فيه . سوف تبقين على قيد الحياة بضعة أيام القادمة ، ولكننى لا أظن أنك ستحبين ذلك . أنت تعتمدين على وعليك أن تسيرى بحذر شديد جدا »

ـ « لست بياتسة يبدو أنك تظن ذلك ، هل أنا كذلك ؟ »

ـ « لقد وضعت نفسك فى موقف خطير جدا . لو كان لك عقل ما كنت تبدين أى تعليقات ثرثارة . ينبغى أن تكونى عصبية جدا فى الحقيقة بوضع نفسك بين يدى رجل غريب جدا عنك ، دون الحصول على عون » .

ـ قالت كايرو : « إنى أثق بك » ولو أنها لا تحبه ، ولسبب ما لم يخطر لها أن تمقته .

ـ قال ماكس : أنت غبية جدا ، ربما أكون رجلا مجنونا بالجنس » .

ـ قالت كايرو : « لا تبدو رجلا مجنونا . فأنت فظ وبغيض نعم . مجنون لا . أما بالنسبة وأنك متعطش للجنس . فإنه من الواضح تماما أنك لا تحب النساء» .

ـ قال ماكس : « ما الذى جعلك متأكدة من ذلك ؟ وتحرك نحوها وفجأة صار عصبيا مما جعل كايرو تتراجع حتى وصلت إلى الصخرة . كاد قلبها يقفز من بين ضلوعها ولكنها نظرت إليه فى تحدى .

ـ « لقد خرجت عن طريقك لتعطينى هذا الإنطباع ! »

كان واقفا قريبا منها وقال : « أنت واثقة من نفسك ، ألست كذلك ؟ ربما لأننى لم أبدٍ إهتماما بك وافترضت تلقائيا أننى من الممكن أن لا أهتم بأى أحد آخر » . وامسك بيديها ووضعها على الصخرة . النظر إلى وجهه جعل كايرو تناضل لتحرر نفسها ، لكن قبضته كانت مثل الفولاذ . وسألها : ماذا يبدو الأمر وكل جهدك هكذا ضاع هباء منثورا ؟

لم يكن لدى كايرو فرصة لترد لأنه مال برأسه وقبلها . حاولت إبعاد وجهها ، لكنه أطبق على فمها . لمسة شفتيه أرسلت ومضة كهربائية من الوعى سرت خلالها وأطلقت شهقة مما جعلها تفتح شفتيها وهو ما يطلبه . كان فمه قويا واستكشف فمها ، وقفزت غريزة الإستجابة ، وحاولت كايرو إحتواء الإثارة على امتداد أحساسيها .

غير ماكس من وقفته حتى يضغط بجسمه على جسمها المستند على الصخرة بينما ترك يديها لتغوص أصابعه فى شعرها الذهبى الكثيف . وكانت الصحراء الكثيفة من حول كايرو وما من شىء سوى الصخرة وماكس وفمه على فمها ويداه على وجهها وقوة جسمه . وسقطت يداها إلا أن قبلاته تعمقت مما جعلها ترفعانها إلى ذراعيه وتطبق أصابعها على قميصه الكاكى القطنى وهى غير متأكدة ما إذا كانت تريد أن تجذبه إليها أكثر أم تدفعه بعيدا عنها .

شعرت كايرو كما لو أن الأرض غاصت تحت قدميها . واسترخت على جسد

ماكس ، وتجاهلت محاولاتها لتحافظ على سيطرتها لنفسها ، وشفتاها تركتها لضغط فمه ، وأغلقت عينيها مستسلمتين لبهجة لمسته .

إبتعد ماكس وهو يدمدم بعلامة التعجب وترنحت كايرو على الصخرة . وشعرت بضعف رجليها وعيناها تحملقان بعودتها إلى الواقع .

كانت عينا ماكس تلتهبان من عاطفة لم تحددها كايرو إلا أنه قد سيطر على نفسه جيدا . لم يكن يتنفس بشدة . حيث أن كايرو تذكرت كيف أنها ذابت فى قبلته إجتاح فيض من الألوان حلقوم كايرو وجعلت وجنتيها باللون القرمزى . بسطت يديها على الصخرة لتدفع بنفسها حتى تقف معتدلة وهى مضطربة إلى حد ما .

ـ همست : « ليس هذا إنصاف » .

ـ « قال : « لقد طلبت ذلك . كما حدث فإنى أحب النساء لكن بعضا منها ونوعك من الجمال غير الرقيق إلى حد ما يتركنى باردا » .

ـ قالت : « ولماذا قبلتنى ؟ »

ـ قال : « لأعلمك درسا ، لقد وضعت نفسك تماما فى سيطرتى وما تلومين سوى نفسك ، نظر ماكس إليها بازدراء مما زاد من لون وجنتيها وقال : « أنا لا أحبك ولا أريدك معى ، لذا لا أودك أن تطلبى منى أن أكون منصفا معك ، يا كايرو ، ليس لك الحق » ووضع ماكس الحقيبة على ظهره وقال : « بقدر إهتمامى يمكنك البقاء هنا وتموتين من العطش . ولكنك إذا جئت فمن الأفضل التحرك . فلن أضيع المزيد من وقتى » .

بدأ المسير فى الممر دون أن يرى إذا كانت تحركت أم لم تتحرك .

حملقت كايرو فيه باشمئزاز ، وقلبها يقفز من القبلة وهى تحاول أن تسيطر على تنفسها . الموت عطشا فى هذه اللحظة يبدو أفضل من رؤية ماكس فالكون ثانية . ولكن كما قال ماكس إنها لم تترك لنفسها أى خيار .

كان يتقدم باعتدال ولم ينظر إلى الخلف مرة واحدة . عضت كايرو على

شفتيها وتماسكت بجهد . ولم ترد أن تتأخر وتكون خلفه . رفعت حقيبتها على ظهرها وكبست قبعتها فى رأسها وسارت تلاحقه .

أول قطعة من الممر المؤدى إلى أعلى الهضبة كان ضيقا شديد الإنحدار ، وكانت كايرو تنزلق من آن لآخر فى كل الإتجاهات . كان الجو قد صار حار جدا وظهرت الشمس فوق الصخرة واكتنفت كايرو بوهجها الشديد . صارت كايرو تلهث ، وتبلل شعرها تحت القبعة من العرق وكان شعرها المتدلى يلتصق بعنقها .

يخطو ماكس ويسبقها ويبدو هادئا ومرتاحا ، ولا مبالاته تؤثر على أعصاب كايرو الحانقة . لم ينظر إليها من مدة طويلة ليرى ما إذا كانت تتبعه أم لا تتبعه ! كان من الواضح أنه كان يأمل فى ألا تستطيع أن تستمر معه وكانت كايرو مصممة بنفس القدر لتثبت أنه على خطأ .

كرهها لماكس جعل الأمر سهلا لأن تتجاهل الهواء الحار الذى جف فى رئتيها وسيور الحقيبة تحك فى كتفيها . لم تقابل أحدا يبذل جهدا يسيرا فى إخفاء كرهه . لديه كل الحق ليكون غاضبا من الطريقة التى فرضت نفسها عليه ولكن ما من حاجة ليهجم عليها مثلما ذلك !

إزدادت حرارة وجه كايرو وتذكرت مدى إستجابتها للمسته ، ولأنه أخذ فجأة فإنها تتجادل مع نفسها ، إن ماكس فالكونر هو آخر نماذج الرجال جاذبية بالنسبة لها . إن برودة ونظرته القاسية لم يروقاها ولو أن فمه كان دافئا بصورة غير متوقعة ، وكان هذا جانب من الصدمة المفاجئة لأن تم تقبيلها بتلك الصورة . لازالت إحساساتها تهتز وترتجف معدتها عند التفكير فى جسمه القوى . لم يكن جذابا . هو كان فقط . . . غير متوقع .

توقفت كايرو لتلتقط نفسها وتمسح عرقها من شفتها العليا وهى تنظر حولها . كان الممر ملتوى فوق كتلة ضخمة وجدران الصخرة ترتفع فوقها . إنه مكان مرعب ومهدد . إشتاقت إلى خضرة انجلترا لأجل نظرة إلى الأشجار والحقول والمنازل حتى أن الفراغ الممتد للصحراء أفضل من هذا المكان !

إستمرت ورأسها منحنية فترة من الوقت قبل أن تلاحظ أن ماكس متوقف فى مكان أعلاها منتظرا فى ظل صخرة معلقه فوقه . فكرة الراحة جعلتها تسرع من خطوتها . ستنتهي من الحرارة والعطش إن لم تجلس لفترة .

جلس ماكس على أرض صخرية وذراعاه على ركبتيه ورأسه التفتت لتراقبها فى البضع ياردات وهى مقبلة نحوه . كايرو تعى وجهها الوردى وعرقها يتصبب فى ظهرها وكانت حانقة جدا من السرور البارد الذى اكتشفته حول فمه . عرفت أنه يقارن بين المرأة الرشيقة التى اقتربت منه أمس ، بعد الظهر ، والفتاة التى تتصبب عرقا وتلهث مقبلة نحوه الآن . وضعت حقيبة ظهرها عن كاهلها وانتزعت الماء منها .

ـ « يمكنك إقتناص الوقت إذا أردت العودة إلى المعسكر قبل الظلام » .

قالت : « سأسرع بأقصى ما يمكننى ، وهى تغلق زمزمية الماء الدافىء بعد ما صببت منه على وجهها . بعد ما هدأت أخيرا خلعت قبعتها ورفعت نظارتها على رأسها ومسحت وجهها المبلل بظهر يدها .

قال ماكس بعد ذلك : « هل أنت مستعدة ؟

حاولت كايرو أن تحتج بأنها تأخذ وقتا للراحة . وكان ماكس ينتظر منها الشكوى ! حسن ، فلأدعه ينتظر ! ثم قالت : مستعدة . شعرت كايرو بأن رجليها ترتجفان وكان لابد أن تجعله يبطىء ! لكن تفكيرها فى ازدراء ماكس أجبرها على المسير .

وبعد مضى بعض الوقت وجدت ماكس يحط حقيبته ويتنظر فى ظل أحد الشقوق ينتظر كايرو وهى تصعد ببطء تجاهه .

قال ماكس : « حسن ، فلنستريح هنا فترة » وجلست كايرو بجانبه وأغمضت عينيها ، متعبة جدا من الحرارة الملتهبة والعطش .

ـ قال ماكس : اتفضلى وفتحت عينيها لتجده ممسكا ببرتقاله كان قد قطعها بسكينه إلى أربعة أرباع . وأخذت كايرو تمتص عصيرها بشراهة كما لو أنها لم

تتذوق أى شىء لذيذ من قبل .

همست وقالت : « أشكرك » ، وشعرت كايرو أنها أفضل . وخلعت نظارتها وقبعتها وتخللت أصابعها شعرها المبلل واستندت على حقيبتها تتنهد ثانية .

سأل ماكس : « لماذا تفعلين هذا ؟ إن كل هذا الحديث عن القيام بعملك لا يقول الحقيقة إلى حد ما . أنا غير مقتنع بأنك نموذج للعاملة » .

فكرت كايرو فى أنه على صواب . حتى سنة مضت ، لم يكن عليها أن تعمل على الإطلاق ، لكن الأشياء قد تغيرت منذ ذلك الوقت .

وقالت : « إنى أقوم بالعمل لنفس السبب الذى به يقوم معظم الناس بأعمالهم . أحتاج المال » .

قال ماكس : « لابد وأن هناك سبلا لعمل المال أسهل مما تضعين نفسك خلال هذا العمل . إن إستشارية الأعمال هذه تعد بمثابة الهواء الساخن . لماذا لا تحصلين على عمل مناسب ؟ »

إعترفت كايرو : « ليست لدى مؤهلات » ولم تكن بحاجة للحصول على عمل بعدما تركت المدرسة .

قال ماكس : « من الصعب تصديق ذلك من الطريقة التى نفذتيها منذ أن كنت هنا لكننى أفترض أن لك مخ فى رأسك . لابد وأن يكون شيئا تستطيعين القيام به »

هذا ما كانت كايرو تفكر فيه ، وتذكرت الشهور الطويلة وهى تحاول الحصول على عمل ، أى عمل ، حيث عانت الكثير من الرفض من جانب الوكالات لعدم وجود مؤهلات وخبرة . وأخيرا شعرت بالسرور عندما حصلت على عمل كمضيفة ، وذلك قبل أن تلجأ إلى بيير ثانية . إنه الذى إلتقطها وأعاد الثقة لها وجعلها تدرك أنها بذلك العمل أخذت المسار الخاطىء .

وقالت : « يمكنك أن تمر بالعمل العادى . لكنك لو أردت عمل مال كثير فإنه يجب أن تغامر . لو كانت استشاريتنا ناجحة فسوف نحصّل مالا كثيرا جدا

وذلك أكثر مما لو لازمنا عملا ظريفا آمنا » .

قال ماكس : « آه ، مال ! هل هذا هو كل كل ما يهمك ؟»

قالت وهى تتذكر وجه أبيها : « إن هذا الأمر هو بصفة مؤقته » وفجأة أرادت البكاء لتجعل ماكس يفهم لكن من الواضح أنه تأفف باشمئزاز ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تستطيع فيها أن تنظر إليه بصورة مناسبة وهو ممدد فى الظل ويضع قبعته قريبة من عينيه ويضع يديه خلف رأسه ويبدو مسترخيا .

جالت كايرو ببصرها من حولها ، الصخور من كل ناحية وجدران الصخره ترتفع فوقها والممر يلتوى إلى أعلى وأعلى فوقها . وهناك فى الجو الساكن الساخن الثقيل ، وفى الشريط الضيق الواضح من السماء يتعلق نسر كما لو أنه لا يتحرك .

إرتعشت كايرو . كيف يبدو ماكس هكذا . . صحيحا جدا فى هذا المكان المرعب ؟ وكانت قوته الفولاذية مؤكدة ، وأرادت لو مدت أصابعها لتلمسه .

تذكرت كايرو كم كانت مستاءة عندما قابلته أول مرة . وبنظرة فى عينيه يمكن إدراك أن ماكس رجل عادى هادىء ، وكان لديه إكتفاء ذاتى وليس لديه أدنى إهتمام بأى أحد آخر أو فيما يظنون عنه .

نظرت كايرو إلى فمه مما أعطاها شعورا غريبا وبدت شفتاها تتوقان مرة أخرى إلى ذكرى قبلاته .

رفع ماكس قبعته وقال : « ما الأمر ؟ »

ـ لا شىء » وأضافت : « إنما الأمر هو أنني أتساءل ما إذا كنا قد تقابلنا من قبل أم لم نتقابل » . نظر ماكس إليها شزرا ، ثم اسقط قبعته على عينيه ثانيه ، وقال : « إنى أفكر فى أننا نتحرك فى نفس الدوائر ، ألست كذلك ؟ »

ـ « لا » .

لم تستطع كايرو أن توقف عينيها من الإنزلاق ثانية ابتداء من عنقه إلى فمه الحساس . لابد وأن الحرارة أثرت فيها أكثر مما كانت تظن . وبحثت عن شىء تقوله لجعل الكلام يستمر ولإبعاد ذهنها عن فم ماكس وجسده وسألته : « ماذا

تفعل بالضبط ؟ »

ـ « ماكس : « أنا جيولوجى . أقوم بعمل مسح لهياكل ومعادن الصخرة لحكومة شوفرار حاليا» .

ـ « هل تعمل مع نفس الشركة مثل بروس ميتشيل ؟ »

ـ « لا أنا استشارى مستقل » .

ـ « إستشارى ؟ » وأضافت : « لماذا لم تحصل على عمل لائق؟ »

ـ قال ماكس بابتسامة عما جعل الدفء يسرى فى خلايا كايرو : « أعمل الأفضل عندما أعمل لحسابى » .

ـ « قالت : « هل تعمل هنا من مدة طويلة ؟ »

ـ قال : ما هذا ؟ أهى حفل كوكتيل ؟ ورفع قبعته لينظر إليها نظرة ساخرة قائلا : هذا النوع من الإستجواب يذكرنى بحفلات لندن . كل واحد يستجوبك بنفس الطريقة ـ ماذا تعمل ؟ هل تستمتع به ؟ ـ وطول الوقت عيونهم تتجه نحو كتفك بحثا عن أحد أكثر إمتاعا فى الحديث معه . فماذا تفعلين لو لم تكونى مهتمة ؟ »

ـ قالت كايرو : « أنا مهتمة » وأضافت : « لن أهتم بإضاعة فتتى عليك ، أما بالنسبة للأفضل أم الأسوأ فإننا راحلون معا . وأظن أنه من الألطف معرفة القليل عنك . ولم أكن أريد حقيقة معرفة طول المدة التى قضيتها هنا . وما كان يجب أن أسألك » .

ـ تنهد ماكس : « إذا كان ذلك شيئا ممتعا ، فالإجابة هى حوالى سبع سنوات» . وأزاح قبعته للخلف ووقف مستندا بظهره على الصخرة وأضاف : « لقد تربيت فى مدينة ولا أريد الذهاب إليها ثانيه . إنها لطيفة ومتمدينه من السطح لكنها عفنة من القاع . معظم الناس الذين عرفتهم تتسلط عليهم فكرة المال ـ مثلك ـ وإن لم يكن المال فهم يحافظون على المظاهر بأى ثمن . يبدأ الفساد عند مستوى ووجدت ذلك مقرفاً » .

إن ارتجفت كايرو . والدها تم تشويه سمعته فى الصحافة بأنه فاسد ، ومازال هذا الأمر عالقاً . الفاسد هو واحد مراوغ وعفن . مثلما قال ماكس ، لكن والدها لم يكن كذلك أبداً .

فوالدها ربما غير شريف ، إلا أنه ليس سيئا . كيف تشرح لماكس أن أحداً يخرق القانون فى تعاملاته يمكن أن يكون عطوفا ومخلصاً وكريما على نحو مضحك؟

ـ قالت بعد لحظة : لا تكون الأشياء بيضاء وسوداء مثلما وضحتها » .

ـ قال ماكس دون توقع : « لا . إنها ليست كذلك . إلا فى الصحراء . لذلك أحب المكان هنا ، وكانت عيناه على النسر الذى يدور فى الجو فوقهم . وأضاف : الصحراء تجرد الإنسان حتى من مبادئه . الوقت يتخذ شكلا مختلفا هنا . ليست هناك صور فى الصحراء . ولا قلق حيال عمل إنطباع .

ونظر إلى كايرو فجأة قائلا : « فأنت هو ما أنت ، وعيناه حادتان ومضيئتان وأضاف : « ينبغى عليك قضاء مزيد من الوقت فى الصحراء ، ربما تجعلك أقل توترا » .

قالت كايرو : « أنا لست متوترة ! » وأشاحت بوجهها بعيدا عن عمد ومصممة على أن لا تبدى المزيد من الاهتمام .

الفصل الثالث

جلسا فى سكون ولاحظت كايرو أن ماكس جالس هادىء . كانت القبعة تظلل عينيه ومن الممكن أن تقولا ما يفكر فيه .

لم يكن ماكس مثل أى رجل قابلته كايرو من قبل ، وأرادت لو تجاهلته ، إلا أنها لم تستطع التكهن بما جلبه إلى الصحراء فى المقام الأول . لابد أن هناك شيئا تسبب فى العداء الملتهب لحياة المدينة . هل كان السبب إمرأة ؟ هل إنفطر قلبه من جانب فتاه أحبت المال أكثر من حبها له ؟

إنه لايبدو مثل نوع الرجل الذى يتحطم قلبه بسبب إمرأة . كان مغرورا جدا بالنسبة لذلك . رمقت كايرو ماكس بنظره تتساءل عن نوع الفتاة التى يحبها ماكس . لا طويلة أو شقراء أو صارخة ، فكرت فى ذلك كثيرة تقريبا . لم تقابل أى أحد غير مستجيب لمفاتنها .

أدركت كايرو أنها لا تود تخيل ماكس مع إمرأة أخرى يبتسم إليها ويلمسها بيديه . . . وشعرت أن عمودها الفقرى يهتز من الفكرة ، ثم حملقت فيه ثانيه ، ووجدته يراقبها بتعبير غير مفهوم .

إلتفتت عيونهما ، وقفز التوتر فجأة بينهما . وجدت كايرو نفسها خجله متأكدة من أنه عرف أنها كانت تتذكر كيف قبلها .

وقال ماكس : « من الأفضل أن نذهب » .

ـ قالت كايرو : « نعم » وهى تنهض مسرورة من تحويل الكلام لتتذكر كيف كانت تشعر بالتعب وقطبت جبينها من الشنطة الثقيلة التى تحملها على كتفيها ، لثقلها واحتكاكها بجلدها .

ـ قال ماكس وهو يشير إلى كتفها باصبعه : « لابد وأن الشمس قد حرقت هنا ، وارتعشت كما لو أنها أصيبت بصدمه كهربائية . ورفع حاجبا بسخرية قائلا : ظننت أنك غير متوترة ؟ »

ـ قالت وهى تضغط على أسنانها : « لست متوترة . إنه شىء من الحساسيه فقط » .

ـ قال : « من الأفضل ارتداء قميص بدون أكمام ، وليس هذا هو وقت الإصابة بالسمرة » .

ـ قالت : « كنت أفكر فى الواقع أن أبقى هادئة » .

ـ قال : « ستبقين كذلك لو خففت مما ترتدينه » . ونزع قميصا متربا وموحلا . « هاهو » وأضاف : « إرتدى هذا . لا أريد أن أحملك بين يدى مصابة بضربة شمس » .

تعبيره حذرها بعدم المجادلة . فلا يمكن أن تكون أكثر حرارة مما هى عليه ، وعليها أن توقف الشرائط التى تحتك بكتفيها . وكان القميص الذى أعطاه ماكس لها فضفاضا لذلك رفعت أكمامه .

وقال ماكس : « أزياء مبتكرة .

فقدت كايرو مسار الوقت حيث ينتهى المسار إلى الصخرة فى سلسلة غير منتهية من منحنيات حادة . ورغم أنها لم تعان من الدوخة إلا أنها كانت مسرورة من أن ماكس انتظرها عند تلك الأجزاء .

كان وجهها متوترا ، وقطب ماكس جبينه وهى تمسح وجهها بيد مرتعشة .

سألها : « هل أنت بخير ؟ »

رفعت كايرو رأسها وقالت : « أنا بخير » .

ـ قال ماكس : لقد فعلت ما هو أصعب قليلا . ستكون الهضبة مسطحة نسبيا من الآن فصاعداً كانت كايرو تتنفس بصعوبة لأن ترد عليه ولكنها هزت رأسها وهى تمسك بزمزمية الماء . وشعرت بأن أصابعها تورمت فى الحرارة حتي أن ماكس فتحها لها وهز رأسه ساخرا .

ـ قالت : « أشكرك »

وعندما فرغت من الشرب شاهدت ماكس مبتسما . لمحت رجلين يثبان عبر الصخور يتجهان نحوهما واندهشت لحظة عما إذا كان ذلك هلوسة . كانا يرتديان صنادل من البلاستيك ويحمل كل منهما حقيبة معلقه على كتفه .

همست إلى ماكس : « ماذا يفعلان هنا ؟ »

قال : « إنهم مهربون . فإن ليبيا على الجانب الآخر من الهضبة . يحضران منها شاى فى مقابل اللبان » .

نزل ماكس وتحدث معهما وهما يدخنان السجائر الذى أعطاهما إياها ماكس جلست كايرو جانبا . وكان لماكس ابتسامه جذابة لاحظتها كايرو . لم يبتسم إليها هكذا . فما هو الشىء الخاص بينه وبين المهربين ؟

رمقها الرجلان بنظرات فضولية وعندما هما بالرحيل إبتسما لها وأديا بعض التعليق إلى ماكس . رده جعلهما يضحكان ثم هبطا من الصخرة إلى الممر ولوحا بيديهما .

سألت كايرو متشككة : « عما كان ذلك كله ؟ »

قال : يظنان أنك جميلة جدا . وهما يحسدانى يا امرأتى » .

قالت : آمل أن تكون أوضحت لهما أننى لست كذلك » .

قال ماكس بنظرة متبرمة : « بالطبع لم أوضح لهما . هل تريدين أن يتم معرفة أن فتاة وحيدة غير محمية تجول حول الهضبة للإختطاف والاغتصاب ؟ ولا يستبعد تهريب فتاة شقراء إلى البلد . فانت تستحقين إتفاقا جيدا من حقيبة لبان مضغه » .

قالت كايرو : « هذا لطيف منك أن تعترف بهذا . أنا مندهشة أنك لم تقايضنى بالشاى بينما كانت الفرصة لديك ! »

قال : « ستكون صفقة . كان يجب أن أفكر فى هذا . فشنطة شاى أخف وأسهل وأكثر نفعا لأصطحبها معى أفضل من إصطحاب شقراء مدللة ! »

إن السير عبر قمة الهضبة صعب مثل تسلق صخرة . فهى مسطحة وما من ممر والأرض متنوعة بداية من الأحجار الملتوية إلى المستوية والصخر المتشقق والمبعثر .

كانت الشمس متوهجة وكايرو تصعد فى جهد كان يقف ماكس وكأنه يقف على حافة الدنيا . ورغم أنها منهكة إلا أنها حبست تنفسها عندما رأت ماكس بوجهه الحاد .

عندما وصلت كايرو إليه أدركت أنهما واقفان على حافة الوادى ، وأشار ماكس عبره قائلا : « أنظرى إلى تلك الشجرة هناك ؟ هناك يكون المعسكر . »

وقفت كايرو تنظر إلى الشجرة الضخمة التى نمت من لا شىء على ما يبدو . شاهدت الأوراق الخضراء بعد سير طوال اليوم . ضوء المساء ينتشر فى الجو ويلمس الشجرة باللون الذهبى .

قالت كايرو : يالله من مكان ساحر » ،

نظر ماكس اليها : « يقولون أن الشجرة موجودة هناك عبر ثلاثة آلاف سنة »

قالت : من كيف عاشت ذلك العمر ؟ ما من ماء هناك ، لا شىء » .

ـ « الصحراء عادة باردة ومكان أكثر رطوبة من رطوبة الوقت الحالى . عندما نمت هذه الشجرة كان هناك ماء كثير حولها وجذورها ضاربة فى الأرض حتى أنه عندما تمطر الدنيا يمكن أن تختزن معظمها » .

كانت كايرو صامته وهما يهبطان الوادى ويصعدان إلى الجانب الآخر تفكر فى مدى تغير العالم منذ أن بدأت هذه الشجرة تنمو فى أول الأمر . وتعبها يهدد بأن يسيطر عليها وبدت الباردات الأخيرة طويلة .

هذا الوقت يسير ماكس بجوارها ، وعندما تتعثر وتكاد تسقط يمسك بذراعها ليجعلها تعتدل . إن أحساسها بلمسته تنعشها وتقوى رجلاها ليتسنى لها المشى حتى الشجرة نفسها . تركها ماكس تتداعى تحت الأوراق متعبة جدا لا تستطيع أن تعمل شيئا سوى أن تحملق فى حقيبة الماء التى تتدلى من الفروع ، والحقيبة مصنوعة من جلد الماعز .

قال : « هذا هو المعسكر الذى يستخدمه السائحون . عادة يجب أن نبقى فى أحد المناطق المحددة ، ولكنه حيث أننى أعمل لحساب الحكومة يمكننى أن أعسكر فى أى مكان أريده » ونظر إلى كايرو قائلا : إستمعتى بآخر مذاق للمدينة .

قالت كايرو ضاحكة : المدينة ؟ ماذا فعلت لأستحق هذه الليلة الفاخرة ؟ »

قال ماكس : « رتبت إحضار إمداداتى على ظهر أحد البغال . بمعنى أنه يمكننى أن أعود إلى هنا لتخزينها بدلا من حملها إلى الصخرة معى . فهى تستغرق طريقا أطول . لذلك هى غير موجودة الآن . سنتناول بعض الشاى بينما ننتظر » . ذهب ناحية الخيام وأمرها بأن تبقى هناك ، كما لو كانت كلبه .

ما من مشكلة فى إطاعة هذا الأمر . كانت مشدوه ومتعبة لدرجة أنها لم تستطع التحرك حتى لو أرادت ذلك .

ظهر ماكس بعد بضع دقائق مع رجل عجوز ذابل ألقى التحية على كايرو بهدوء وجدية وشرع يصنع لهما الشاى بينما كان ماكس يتحدث إليه . وبعدما تم صنع الشاى صبه فى كوبين وأعطى كلا منهما كوبا .

إرتشفت كايرو الشاى وكان لذيذا ومنعشا .

قال ماكس : « يجب أن تشربى ثلاث أكواب ، ثلاثة فقط . يقال إن الأولى مرة كالحياة . والثانية قوية كالحب والثالثة حلوة مثل الموت » .

بدا صوته العميق يتذبذب على جلد كايرو . كانت تعبة جدا . جلس وظهره فى اتجاه الشمس حيث أن الوهج ينساب حوله . كانت مندهشة ثانية من مدى

اختلافه مع الناس الآخرين . كيف يكون الرجل الذى أطلق النكات مع المهربين أو تحدث بهدوء مع رجل عجوز ، يكون هو هذا الرجل الذى ينظر إليها بعداء أو يقبلها بمثل تلك العاطفة المتوحشة ؟

كان الجو مظلما ظلاما دامسا عندما وصلت إمدادات ماكس ، وجعلها تأكل بعض الطعام الذى قام بتسخينه على الموقد ، ولو أنها لم تكن تشعر بالجوع .

ـ قالت : « وهو كذلك ، حصلت على طعامى » .

ـ قال : « لا تكونى حمقاء ، أيتها المرأة . عليك أن تأكلى شيئا » .

ـ قالت : « عندى بسكويت » .

ـ قال : « بضع قطع من البسكويت غير كافية لك » .

ـ قالت : « لست بجوعانة . أنا أتعب جدا عندما آكل كثيرا على أية حال » .

ـ قال : لا أهتم بمدى تعبك أو جوعك . فسوف تأكلين . إن لم تأكلى بصورة مناسبة فلن تقوى على المشى ، ولا أريد أن أتعامل مع إنسانة مغشى عليها من الجوع فى منتصف المسافة عبر الهضبة » .

وأضاف : تبادر لى أن أتركك هنا وأرسلك مع البغال . . »

وعندما تناولت الطعام وجدت أنه لذيذ . وأتت على طعامها قبله . ثم قالت : « أشكرك » . ثم تناولا القهوة . كان الجو حالك الظلام . وأصوات همهمة الرجال الذين يجلسون بجوار البغال ذكرتها بأنها وماكس لم يكونا هما الوحيدان فى العالم . وبدأ شعورها بأنها قد قابلته من قبل يضايقها . بطريقة ما ، فى مكان ما تقابلت مع ماكس ـ أو أحدا شبيه به جدا .

قطعت الصمت وسألته : «هل لديك عائلة ؟ »

ـ إلتفت ماكس لينظر إليها وقال : « أخت ، لماذا ؟ »

ـ « لأن لدى شعور بأنى أعرفك . أتساءل إذا كان لديك شقيق قد أكون قابلته فى مكان ما » .

ـ « لا ، سوى أنا وجوانا »

ـ « جولنا أختك ؟ ربما قابلتها » وأضافت : هل هى تشبهك ؟

ـ « لا . فهى أكثر شبها بك » .

ـ رددت كايرو فى دهشة : « أنا »

ـ قال : آه ، لا تشبهك فى أى شىء . فهى هادئة ولم يكن لها أسلوبك المتوهج . ولم يكن لديها نفس ثقتك إلا أنكما متشابهان فى أمور أخرى . أنتما مدنيتان . لم تفهم لماذا إخترت العيش فى الصحراء . إن فكرة جوانا عن الحياة فى الخارج هو الجلوس على التراس » .

كايرو : « أنا لست كذلك ! »

ـ قال : ألست كذلك ؟ لا أستطع رؤيتك تخرجين للمشي فى البلد عندما تكونين فى مكان شديد الحرارة أو فى مطعم » .

ـ حاولت كايرو تذكر آخر وقت كانت فى البلد للمشى وقالت : « لا أحتاج للمشى . إنى أتدرب كثيرا . أذهب للجمينزيام كل يوم فى الوطن » .

ـ قال ساخرا : أنا لا أعرف سبب خوف فتيات مثلك وجوانا من الهواء الطلق . أنت ترضين العيش فى بيئة صناعية تماما » .

ـ كلام فارغ .

ـ ليس بكلام فارغ . أنت تتوقعين مفتاح الكهرباء ، والماء الذى يسرى فى الصنبور ، تذهبين إلى أى مكان فى السيارات ، صناديق معدنيه تبعدك عن بقية العالم . ولا يهمك كيف يكون الجو . إن كل ما يعنيك هو ماذا سترتدينه . هل سيكون فستان حرير أو شىء يمكن إرتداؤه مع جاكيت ؟ وضحكت كايرو ضحكة غير مريحة . لقد ذكرها بوضوح بالأيام التى ما كانت تعمل فيها سوى لتساؤل عما سترتديه .

ـ « هل أنت مثل هذا مع جوانا ؟ »

ـ « مثل ماذا ؟ »

ـ « نموذجك فى الحياة مثل نموذجها ـ فضلا عن نموذجى . آمل أن تخبرك ما يمكن أن تكون العلاقة برأيك ! »

ـ « إبتسم ماكس ابتسامة عريضة وقال : ليس هذا نموذج جوانا . ولا تجرؤ لأننى أعرف أسلوبها ولا أريد أن أنتقدها » .

ـ أوضحت كايرو قائلة : لا يبدو أن لديك أى من الموانع بالنسبة لى .

ـ قال ماكس : « أنت أكثر من قادرة على أن تؤيدى نفسك . لم أحظك لا تجرؤين على الرد » .

ـ قالت كايرو : « لا أفترض أن أى أحد يرد عليك . فحقيقة لا يوجد أى أحد يرد عليك هنا . ولا عجب فى أنك لا تحب أى أحد يختلف معك . أنت متعود إلى حد كبير على طريقتك » .

ـ قال ماكس « إنه من العجيب أننى قلت بالضبط نفسى الشىء عنك . أنت مدلله ومنغمسة فى حياتك . وأنت مثل نبات البيئة الدافئة لا يمكنه البقاء خارج بيئته . فنسمة هواء باردة وكلمة خشنة حقيقية حينئذ تتوهين . أنت لا تقاومين أى فرصة فى بيئة قاسية مثل الصحراء » .

ـ قالت كايرو « ربما . ولكننى هنا ، ورفعت رأسها فى تحدى والتقت عيناها بعينيه .

ـ قال ماكس : « نعم » . كما لو كانت هذه الفكرة جديدة عليه .

ـ ثم قالت كايرو : « أين أنام ؟ هل فى الخيام ؟ »

ـ قال ماكس : « إذا أردت ذلك ، ولكننى اقترح أن تنامى معى » . واهتزت أعصاب كايرو من الصورة التى أوحت بها كلماته .

ـ قالت : معك ؟

قال : « لست بحاجة لأن تتصرفى كعانس ثائرة . فأنت هدف تفكير الرجال وأنصحك بألا تفسدى الإنطباع بأنك زوجتى بنومك بمفردك ، هذا هو كل ما فى الأمر » . وجدت كايرو أن النوم بالقرب منه شىء مزعج ولكنها رأت أن أقتراحه

هو إقتراح معقول .

وقالت : « أين تنام ، إن لم يكن فى الخيام ؟ »

قال : « هنا » حيث نضع كيس النوم على الأرض بجوار النار .

قالت : « ماذا ، على الأرض ؟ »

أكد ماكس : « نعم ، على الأرض . أين تتوقعين أن أنام ؟ هل فى أوتيل خمسة نجوم ؟ »

قالت كايرو : « لا أعرف . . لم أفكر فى هذا . . خيمة ، ربما ؟ ولمحت خياما خلف الشجرة وتساءلت : لماذا لاتنام هناك ؟ »

ـ « لأننى أحب النوم تحت النجوم . لا أحب سقفا فوقى ، يجعلنى أشعر أننى فى شرك » .

ـ نظرت كايرو إليه بفضول : « فى شرك ؟ » وأضافت : يجب أن تنام تحت سقف فى بعض الأحيان . كيف نجحت عندما كنت فى إنجلترا ؟ »

ـ هز ماكس كتفيه وقال : « لست عصبيا بشأن ذلك . لكن الإختيار لى ، وأود النوم فى العراء أفضل من النوم فى الداخل » .

ـ قالت : « هذا الأمر جيد لو كنت بمفردك ، لكنك لو كنت مع ناس آخرين ماذا يحدث ؟ »

ـ قال : « مع ناس مثلك ؟ »

ـ قالت : « لا ، قصدت . . . شخصا ما قريب منك . زوجة على سبيل المثال » .

ـ قال وهو يحملق فيها : « لست بمتزوج » .

ـ قالت : « لكنك لو كنت متزوجا ؟ هل تجرها هنا وتجعلها تنام تحت النجوم ؟ »

ـ أوضح ماكس : « معظم الوقت ، ما من مكان آخر للنوم . أنت تبدين مهتمة جدا يا كايرو . وماذا يهمك بشأن كونك زوجتى . هل تطيقين ذلك ؟ »

ـ قالت : « لا يهم . كنت استطلع ما إذا كنت تحمن قضاء حياتك كلها بمفردك هنا . ألم تفتقد عائلتك وأصدقائك ؟ »

ـ قال ماكس : « أصدقائى هنا . وأما بالنسبة لعائلتى . . . حسن ، فهى جوانا بالطبع ، لكنها تحيا حياة مختلفة . لا يناسبنى هناك بعد ذلك » وأضاف وهو يحملق فى لهب النار : أحيانا أتخيل نفسى أعيش فى بيت لطيف مثل بيتها ، أذهب للعمل كل يوم ، أقيم فى أحد المكاتب أسبوعا بعد أسبوع ، وأعرق عندما أفكر فى هذا » .

ـ قالت : هل أنت دائما بمفردك ؟

ـ نظر إليها وقال : « ياله من سؤال نسائى ! أتقصدين ، لماذا أنا لم أتزوج ؟ »

ـ قالت : حسن ، لماذا لم تتزوج .

قال : « لأن معظم النساء الوحيدات اللاتى قابلتهن فى النوادى الليلية أفضل من النوم تحت النجوم . فلو تزوجت واحدة فتكون فتاة تتدبر أمر الصحراء ، تحب الصحراء مثلما أحبها » .

تأكدت كايرو أنه فكر أنها بالضبط نموذج الفتاة الذى يود أن يتزوجها . حسن ، ولا حاجة به أن يفكر فى أن الأمر يهمها ! ليس لديها أدنى رغبة لقضاء حياتها فى مكان مثل هذا .

وأضاف : « من الأفضل أن تخلدى إلى بعض النوم . فأمامك سير طويل فى الصباح »

سألت كايرو وهى مسرورة من تغيير الموضوع : « ألا استطيع الاغتسال أولا؟»

رد ماكس : « يمكنك لو أنت مستعدة للتخلص من الملابس المبلله . فلا يوجد حمام هنا ، مثلما ترين ذلك » .

قالت وهى تأخذ الفانلة التى أعطاها إياها ماكس : « أين سأذهب ؟ وهى تنظر حولها .

ـ قال : وما المشكلة لو كان هنا ؟

ـ قالت : « أفضل أن أخلع ملابسى فى مكان خاص » .

قال ـ « أنا متأكد من ذلك ، لكنك ربما وأنت تجولين فى الظلام بدون ملابس تدوسين على عقرب » .

ـ ردت : « عقرب ؟ هل هناك عقارب حقيقى ؟ »

ـ ضحك ماكس قائلا : « وثعابين ، والعنكبوت ، ومعظم مخلوقات الصحراء ، فهى تخرج ليلا ، فلابد وأن أكون حريصا لو كنت مكانك » .

نظرت كايرو بعصبية متوقعة أن هناك زواحف رابضة بعد ضوء النار .

ـ تنهد ماكس أخيرا : « أنظرى ، وكفى عن الاضطراب . فإذا أردت الاغتسال ، فافعلى ـ لكنك لا تسرفى فى الماء . فسأكون رجلا مهذبا وأعدك بألا أنظر إليك . وبالله أسرعى . فلست وحدك التى تريدين النوم » .

ذهبت كايرو لتقوم بالاستحمام . وكانت تجفف رجليها حينما سألها ماكس : هل انتهيت من الاغتسال ؟ »

ـ « لا تنظر ! »

ـ قال : « لن ألتفت لأنظر . كنت أتساءل فقط » .

ـ قالت : « أحب أن أشعر أننى نظيفة » .

ـ قال : « لا أعرف لماذا تهتمين بذلك . فسوف تلحق بك القذرات ثانيه باكر » . تجاهلته كايرو . إن إمرأته التامة ربما لا تهتم بأن تغتسل أم لا تغتسل ، ولكنها لن تكون كذلك ، وستأخذ الوقت أكثر مما لا يوافق عليه ماكس فالكونر من حيث أنه يقطع روتين التجميل . وضعت حقيبة نومها بالقرب من حقيبة نوم ماكس ـ ولكنه ليس قريبا جدا منه ـ وهى تبدى عدم إهتمام . وستأخذ بنصيحته بألا تنام بمفردها . ولا تريد أن تنام بالقرب منه . فلقد نالها ما يكفيها من ماكس فالكونر ليوم واحد !

ـ سألها : « قررت أن تفضلين عن العقارب ؟ »

ـ قالت دون أن تنظر إليه : « بصورة هامشية » .

ـ قال : لماذا لم تحضرى معك حقيبة نوم ؟

ـ قالت : « لم أظن أننى سأحتاج إلى واحدة . عموما ، هذه هى الصحراء »

ـ قال ماكس : « إنه فى كل الأبحاث التى من المفترض أجريتيها قبلما تأتى ، ألم يصادفك معلومات بأن الصحراء تصير بردا جدا ليلا ؟ »

ـ قالت كايرو : « لم أكن أصدق أن تكون بمثل تلك البرودة » .

ـ « ألم يكن لديك أى فكرة ، هل ذلك ؟ إذا كنت كذلك وهو مثال للتخطيط لاستشاريتك فإننى أفكر فيما سيحدث عندما تكونين مسئولة عن ناس آخرين ، حاليا فإنك لا تستطيعين تنظيم يوما على شاطىء البحر ، فلتجعلى الرحلة وإلى أحد الأماكن المتعذر الوصول إليها فى العالم ! »

ـ قالت كايرو : « سأكون على ما يرام » .

وإنها بمرور الساعات شعرت بالبرد بصورة متزايدة . وكانت تشعر وهى تتسلق الصخرة بأنها تتسلق فرنا متوهجا وأرادت أن تقضى حياتها فى البرد ، لكنها الآن تحولت وتريد الدفء . إنه لمكان مرعب !

كان كل شىء غريبا ، ومن الصعب الحصول على بعض الراحة . وكل عضلة فى جسمها تؤلمها ولم تتوقف رعشتها .

لو استدارت على جنبها فيمكنها رؤية ماكس دافئا ونائما نوما عميقا فى حقيبة نومه ، على بُعد بضعة أقدام . وكانت تفكر فى حنق لأن الأمر على ما يرام بالنسبة لماكس ، ولكنها لم تستطع الكف عن تفكيرها فى رغبتها أن تضع ما تنام عليه أقرب قليلا منه ، كان الظلام حالكاً لدرجة أن أى صوت يصير مسموعا بسرعة وبحدة . فهى تستطيع أن تسمع صوت تنفس ماكس ، والبغال وهى تحرك حوافرها بين الأحجار . وكان الناموس يطن حول رأسها بصورة مزعجة وغطت وجهها بالغطاء ، ولكن ماذا يحدث لو لم تر الثعابين والعقارب وهى تزحف

نحوها ؟ وفجأة ، سمعت عواء مخيف . فجلست كايرو باعتدال ولفه وقفز قلبها من بين ضلوعها وجحظت عيناها من الرعب . العواء قابله عواء آخر وسرعان ماصار الليل مليئا بالعواء . كيف ينام ماكس خلال هذا العواء ؟ وأيقظته إلا أنها فقدت أعصابها فى الدقيقة الأخيرة . كان من العجب أن صوت إصطكاك أسنانها الذى يشبه صاجات الرقص لم توقظه بالفعل .

تشبثت كايرو بالغطاء من حولها . ماذا تفعل هنا فى هذا المكان ؟ كان ماكس على صواب . كان يجب أن تجد لنفسها عملا مناسبا . وأرادت العودة إلى الوطن

كانت كايرو ترتجف من البرد والخوف . خائفة من أن تخرج من غطاء النوم ، ونجحت فى سحب شنطة ظهرها نوحها وأخذت تخربش فيها بحثا عن قميص ماكس . طبقة أخرى من الملبس ربما يكون مفيدا .

ـ « ألا يمكنك أن تظلى ساكنه ؟ سألها ماكس وهو متبرم نعسان مما جعلها تقفز . وأضاف : « إنك تتقلبين طوال الليل . الصحراء دائما مكان هادىء قبل أن تحضرى » .

ـ قالت كايرو بمرارة : هادئه ؟ وكانت أسنانها تصطك وأضافت : كيف يمكنك أن تسمى هذا . . . هذا الكابوس بمكان هادىء ؟ ويتوجب على أن أتحمل التشخير والناموس يلدغنى وكل أنواع المخلوقات المرعبة تعدو من حولى على الأرض والآن ذئاب تعوى من أجل الدم ! »

قال ماكس بهدوء : ما هم إلا أبناء آى .

قالت كايرو : « أبناء آوى ؟ هائل ! » وكانت كايرو على حافة الهيستيريا . وأضافت : « لست معرضة لملايين الحشرات السامة المصطفة لتعضنى فقط وإنما معرضة أيضا لأن تمزقنى مجموعة كاملة من أبناء آوى الباحثة عن الطعام كذلك ! »

قال ماكس ساخطا : « إنهم غير مهتمين بك . العقارب والثعابين تهاجم فقط فى حالة الدفاع عن نفسها ، لذلك إذا بقيت ساكنة لن يلحق بك أذى » .

إستدار ماكس على جانب وأغمض عينيه مرة أخرى وقال : « نامى ولتكونى هادئة » نامت كايرو لكنها متجمدة . ووضعت ذلك القميص عليها . ثم جلست ثانية وبدأت تخرج ما فى الجيب العلوى ، وتساءلت : أين وضعتها ؟

قال ماكس وهو كابح جماح نفسه : ماذا تفعلين الآن ؟

قالت : أبحث عن قميصك .

قال : قميصى ؟ أمتأكدة أنك لا تشعرين ببرد ؟

ردت : « نعم ، أشعر ببرد ! سيسرك أن تعرف أنى متجمدة ومنهكة وخائفة ، جسمى كله يؤلمنى وقررت لو لم أكن قد سمعت عنك وعن صحراءك العفنه ! » وكانت تحاول فتح سوسته الجيب السفلى . لماذا لم تفتح هذه السوسته ؟ آه ! » وجلس ماكس واستعجب « والآن ماذا ؟

قالت : « لقد كسرت إظفرى ! » صاحت كايرو وانفجرت فى الدموع . وكانت القشة الأخيرة . تقدم إليها ماكس والتقطها ووضعت يديها حول عنقه وضمها بسهوله إلى صدره العارى . لم تكن تدرك تماما مدى قوته .

قال ماكس : «أريد النوم قليلا » وأضاف : وأنا لم أحصل على قسط من النوم وأنت تحدثين جلبة هناك » . ووضعها فى حقيبة نومه وأغلق السوسته ورقد بجوارها وجذبها إلى حرارة جسمه وقال ثانية : « لو كنت أعرف أن كسر أحد أظافرك كافى لكسر روحك لكنت كسرت واحدا فى المعسكر » .

وجدت كايرو نفسها فى مواجهة جسمه يحيط بها بذراعه وخدها يستند على صدره العارى مما جعلها تدرك الدفء فى جلده .

قالت : « إن روحى لم تنكسر » .

رد ماكس : « حينئذ لماذا كنت تبكين ؟ » .

قالت : « لم أكن أبكى . . كنت فقط . . . متعبة . والآن أنا على ما يرام » .

ـ أبعد ماكس ذراعه عنها وقال : آه ، حسن ، لو أردت العودة . . ،

ـ قالت كايرو بسرعة : « لا . أقصد أننى لا أريد إزعاجك مرة أخرى »

وكانت تشعر بالأمان والدفء بين ذراعيه ولم تعن أن تتركهما .

ـ « حسن ، فى هذه الحالة من فضلك أصمتى ونامى ؟ »

ـ « أراهن أنك تقول هذا لكل الفتيات ، همست كايرو وشعرت أنها ترى إبتسامته .

كانت كايرو مازالت تشعر بالبرد جدا فقام ماكس بتدليك ذراعها وعندما دب الدفء بدأت تسترخى . بدأ السكون من حولها وبدا ابناء آوى فى الابتعاد .

ولاحظت كايرو النجوم فى السماء المظلمة مما أعطت ضوءا . كيف لم تلحظ ضوءها من قبل ؟ ظنت أن ماكس يحملق فيها مثلما حملق فى الليالى التى لا تحصى . كم كان عالمها بعيدا عن عالمه !

إعترفت كايرو لنفسها بأن ماكس كان على صواب . فحياتها كانت ضيقة . وأعلنت بأن لندن كانت رحبة مليئة بالمتعة والحيوية ، ولو كانت أمينة مع نفسها فإن حياتها محدودة كما لو أنها تعيش فى قرية صغيرة . وما هى المدة التى مضتها قبل أن تقابل أحدا مختلفاً ؟

شعرت كايرو لأول مرة بالأسف لأنها لم تقابله تحت ظروف أخرى . وهى ترقد بين ذراعيه شعرت بأن أحساسيها شيىء غير سوى . غريب ذلك الرجل الذى صرح بأنه لا يحبها وجعلها تشعر بالأمان ، وترى كل شيىء بوضوح وهل كانت الأشياء مختلفة لو كانت قد قابلته فى لندن ؟ وهل كانت . . ؟ . الحقيقة أنها لم تهتم وتقف وتنظر من قبل وكانت هناك حرة ولم يكن هناك طابع مميز يستحق انتباهها ؟

لقد جاءت إلى الصحراء للقيام بالعمل حتى ولو لم يكن تتوقع القيام به .

وتذكرت كلام بيير « ليس لدينا مؤهلات لكن بيننا أحمال من الاتصالات . أنت تجولين حول أوروبا لسنوات ، فسيكون من السهل لك أن تعدين برامج إجتماعية ، وإذا ركزنا على الزواية العملية ستعرفين كثيرا من الناس قادرين أن يضعونك فى الإتجاه الصحيح » .

كانت كايرو متحمسة للصورة التى رسمها للحياه لأجلها . تصورت نفسها تجول بين باريس وميلانو وربما حول مدريد أو تحل مشاكل فى فرانكفورت . لم تكن تحلم بأن ينتهى بها المطاف على قمة هضبة فى الصحراء ، وتنام مع رجل قابلته أول مرة أمس وهى غير جميلة بالنسبة له ومزعجة وغير جذابة . تشعر بقلبه يرتفع وينخفض تحت خدها وتكاد شفتاها تلمسان جلده . ولو كانت تحركت قيد أنملة لكانت تذوقته . . .

فتحت كايرو عيناها وتساءلت : ما هذا الذى تفكر فيه ؟ هذا هو ماكس . وشعرت بذراعى ماكس تزداد فى الالتفاف حولها مما أعطاها إحساسا زائدا بالأمان ، وأخيرا غطت فى نوم عميق .

عندما هزها ماكس لتستيقظ قبل الفجر ، همهمت كايرو فى إحتجاج وجذبت حقيبة النوم فوق رأسها .

وقالت : « أتركنى فى حالى »

تبدد دفء الحقيبة وبدأ ماكس ينغز بقدمه ويقول : « هيا ، انهضى ! »

إعتدلت كايرو وأخذت تفرك فى عينيها وتثاءبت وهى تقول : « لا يمكن أن يكون هذا هو وقت الإستيقاظ . هذا هو الوقت الذى أذهب فيه إلى النوم »

أوضح ماكس : لولا الضجة التى قمت بها الليلة الماضية لكنا نلنا قسطا وفيراً من النوم » .

ـ قالت : « لم أكن فى حالتى الطبيعية أمس ، وأنت تعرف ذلك » .

ـ قال « على العكس من ذلك ، رغم أننى لم أكن أتوقع أن الظفر المكسور يسبب مثل تلك المأساة ! »

ـ قالت : « لم يكن الظفر ، وإنما تراكم الأحداث التى حدثت لى عندما كنت متعبة ، هذا كل ما فى الأمر ، »

ـ « ما هى الأحداث ؟ وكانت الليلة عادية وهادئة فى الصحراء . وأنت التى أوجدت الإزعاج . ظننت أنك باستطاعتك النو ' ·دن وبالتالى يمكنك النوم

فى أى مكان . لابد وأنك تعودت على السيارات والحانات والتليفزيونات والناس الذين يتشاجرون بجوارك طوال الليل . فالليلة الماضية لابد وأنك كنت صامتة على الإطلاق بالمقارنة مع ذلك ! »

ـ قالت كايرو : كانت الضوضاء من أنواع مختلفة .

ـ ماكس : « من الأفضل أن تتعودى عليها » .

ـ قالت : « لا تقل لى ليس هناك فندق خمس نجوم للتطلع إليه الليلة أيضاً » .

ـ قال فجأة : « إرتدى ملابسك يا كايرو ! وراقبى الموقد عندما أذهب واتحدث مع المشرف » .

نظرت كايرو إليه بحنق وهو يذهب . لم تحب الطريقة التى وجدها عليها وهى غير مستريحة . كان عليه أن يجعل الأشياء سهلة بدلا من أن يراقبها والسخرية فى عينيه ويلقى بالتعليقات حول المكان الذى كانت فيه .

لم يكن من السهل أن تتذكر أنها كانت بين ذراعى ماكس الليلة السابقة . كانت تشعر بالبرد ولديها سبب طبعا وكان من الطبيعى أن تسعى إلى دفء جسمه . يمكنها أن تتذكر نظرها إلى النجوم وهى مسرورة من أن تقابل ماكس واضطرارها بأن تلمس شفتاها جلده . . . . لابد وأنها تحلم أو متعبة جدا لدرجة الهذيان ! شكراً للسماء فماكس كان نائما . جذابا ربما عندما يبتسم لكنه لم يكن من النوع الذى تريد أن تقبله !

الفصل الرابع

حررت كايرونفسها بصعوبة من ملاءة النوم المتشابكة . بدأ شريط ضيق من السماء يضىء فوق خط من الصخور وقامت وارتدت قميص ماكس وهى الآن مسيطرة على نفسها بخلاف أمس .

عندما عاد ماكس كانت جالسة تنظر إلى مرآة حقيبة يدها وقالت : «أعددت بعض القهوة ، والإبريق هناك بجوار الموقد » .

إلتقط ماكس الإبريق وهو متزمر وقال : « أظن قلت لك أن تترك ذلك الشىء وراءك ؟ »

ـ « لقد قلت » .

ـ « حينئذ تعمدت تجاهل نصيحتى ؟ »

ـ خفضت كايرو المرآة ونظرت إليه وقالت : « نحن لسنا بالجيش . لقد أعطيتنى النصيحة وقررت ألا أعمل بها ، هذا كل ما فى الأمر . فأنا قادرة تماما على أن أتخذ قراراتى . على عكس ما تظن فإن لى تفكيرى الجيد الخاص بى » .

ـ أشار ماكس : « لم أر دليلا على ذلك إلى الآن » .

تجاهلته كايرو واستمرت فى تندية وجهها حتى فرغت من ذلك .

ـ فقال ماكس وهو يشرب القهوة : كم لوسيون تحتاجين إليه ، بالله عليك ؟

ـ قالت : لا أحتاج أن أصاب بسفعة شمس . ربما تكون سعيد لأن يكون جلدى مثل الجلود الـ . . .

ـ قال : أحيانا أتساءل عما إذا كنت تفهمين من أين أنت يا كايرو . لذلك أظن بصعوبة أنك تحتاجين إلى الاهتمام بمكياجك !

ـ قالت : « أنا لا أضع مكياجا . وإنما أهتم بجلدى » .

ـ قال : « وتتوقعين فى نفس الوقت أن أقف هنا منتظرا بصبر ؟ »

ـ قالت : « لاحظت أنك صابر . وبكل تأكيد ليست هذه نهاية العالم لو أمضيت خمس دقائق أعطى نفسى فيها حمايتى . فأنت أول شخص ستشتكى لو أنهرت من ضربة الشمس » .

ـ قال : « إن قبعتك هى كل ما تحتاجين إليها . لا يبدو أنك تفهمين أن لدى عمل أقوم به هنا . ولن أظل طول اليوم أتسكع بانتظارك » .

ـ قالت : « أظن أن الوقت « يأخذ معنى مختلف فى الصحراء » .

قال : « صدقينى أن الوقت يتضاعف معك ! فلتسرعى ! »

لازالت كايرو تتألم من مشى أمس وتذمرت وهى ترفع حقيبتها على ظهرها . وجعلها ماكس تأخذ زمزمية ماء كبيرة وبعض الطعام أيضا وتألمت من الحمولة الزائدة .

قالت : « لن أقوى على حمل هذا ! »

قال : « إذا كنت تحملين مواد التجميل وفيلوفاكس أيضا فإنه يمكنك حمل الطعام والماء اللذين ربما ينقذان حياتك . وإذا أردت أن تتركى شيئا خلفك فلا حاجة بى أن أخبرك بما يجب أن تتركينه ! »

لاذت كايرو بالصمت وسارت بتثاقل وراءه . وتحررت عضلاتها بعد فترة من التمرين وحيث أنها إعتادت على الوزن الذى على ظهرها بدأت تنظر حولها .

ساروا من خلال صخور مبعثرة وأعمدة ضخمة من الصخر نحتتها الرياح إلى أشكال . لم يكن هناك مر واندهشت من مدى سهولة تحرك ماكس بين الأحجار حيث يعرف دائما أين يذهب . إنه يسير كقط غير متردد ولا يتعثر ولا يلهث وغير متحير سواء يذهب يمينا أو يسارا . ولا يبدو أنه يلحظ الحرارة . إنما

هو مستمر فى المشى بخطوة واثقة لا يعبأ بما يحيط به .

وهى تسير وراءه كانت كايرو تحسده بالنسبة لثقته المطلقة . كانت متأكدة من ضرورة أن تبدو هادئة هنا . صارت الصحراء إلى حد ما أقل تهديداً . وبعد الصخرة القاحلة ، بدا هذا الجزء من الهضبة ملىء بالحياة . وقال ماكس : «الدنيا أمطرت منذ شهر تقريبا لأول مرة فى ثلاثين عاما ! وتعجبت كايرو من رؤية الزهور الصفراء التى تنمو فى الصخرة الجرداء وقالت : « أنت محظوظ لأن ترى مثل هذا! .

لاحظت كايرو بعد ذلك مجموعات من الزهور فى كل مكان بين الأحجار وفى الوديان حيث كانت تجرى الماء حتى أن هناك شجيرات زهور قرنفلية . كانت الفراشات ترقص فى الهواء ، وعلى بضع يارادات رأت كايرو الكرنب وهو أبعد مما فى الحدائق الإنجليزية التى اعتادت رؤيتها ، وتوقفت فى بهجة عند رؤيتها حقل أخضر منتشر أمامها .

تعجبت كايرو قائلة : « كم هو جميل ! »

أدركت كايرو عندما نظرت إلى أسفل أنها عند طرف سجادة من الحشرات وأطلقت صحية حيث وضعت يديها على عينيها وتراجعت للخلف بسرعة .

ـ سأل ماكس : « ما هذا ؟ »

قالت كايرو فى رعب : « هذه . . . هذه الأشياء ! ما هى ؟ »

قال : « جراد » وأضاف : « بدأت التكاثر مع المطر وتبدو كوباء هنا ، أليس كذلك ؟ »

صاحت كايرو : « كيف أمكنك عدم المبالاة بها ؟ إنها أشبه ببعض قصص الرعب ! إنها ثائرة ! »

قال : « على العكس فالسكان المحليون يقومون بطحنها كطعام شهى . هل تريدين بعضها كعشاء الليلة ؟

ـ قالت : « أغ ، كم هو مقزز ! هل علينا المسير خلالها ؟ ألا يمكننا أن

تلتف من حولها ؟ »

قال : « لا ، لا نستطيع . فإن الأمر يستغرق ساعات لاكتشاف طريق بديل . ولن أحيد عن طريقى بسبب عدم استطاعتك مسايرة بضعة مخلوقات غير هجومية » .

ـ « بضع ! هناك الملايين منها ! »

ـ « لا تكونى متشنجة جدا ، هلمى نسير فهى لن تؤذيك » .

ـ « لا أستطيع ! »

ـ « بلى ، يمكنك ، إذا أمكنك عن عمد الدفع بنفسك إلى الصحراء وتسلق تلك الصخرة دون شكوى فإنه يمكنك القيام بهذا » .

نظرت كايرو إليه باندهاشى من هذا الإطراء مما جعلها تستجمع شجاعتها وتخطو بتردد إلى كتلة الحشرات . وتتطايرت الحشرات وكانت تود لو كانت ترتدى بنطالاً طويلاً بدلا من الشورت !

إلتفت ماكس حوله وراقب توقفها عن التقدم وقال : « أسرعى ! »

ـ قالت : « إنى آتية » .

ـ تنهد ماكس وقال : « لأجل السماء ! » ثم عاد إليها وأمسك بيدها وجذبها معه . وأضاف : إننا لن نذهب إلى أى مكان بهذه السرعة » .

وأثناء المسير نظر إلى وجهها وقال : « هل أنت على ما يرام ؟ »

أومأت كايرو برأسها دون أن تتكلم .

ـ قال : « يا كايرو المسكينة ، لا أفترض أنك تذكرت الجراد عندما اعتزمت القيام بهذه الرحلة » .

ـ قالت : « لم أفكر به . لابد وأنك مسرور » .

قال ماكس : « لماذا ؟ »

قالت : « كل وقت أجعل من نفسى حمقاء وتظن أننى أثبت فكرتك عن مدى عدم النفع منى » .

قال : « متاعبك هى أنك غير مهيأة لتعيشى فى مكان هذا . لديك مظهر مخلوقة ولدت للرفاهية » .

قالت : لم يُطل الوقت لأتحرر من هذا المظهر عندما لا يكون عندك دش دافىء أو تغسل شعرك » .

قال « هذا سيقوم ببناء خبرتك يا كايرو . تمرين بمستنقعات الجراد وعدم غسل شعرك لبضعة أيام . ياله من اختبار كبير بالنسبة لفتاة ؟ »

ـ قالت كايرو : « لا أريد بناء شخصيتى ؟ » وهى تكره أنه اكتشف رعبها من الحشرات مما أدخل على نفسه السرور .

ـ قال : « أظن أنك ربما تجدين أنك قمت ببناء شخصيتك . وإذن لازلت تظنين أنك غير محتاجة لأى مساعدة . . »

ـ قالت : « لا تدعنى أذهب ! »

تكلمت واعتذرت بمجرد أن خرجت الكلمات من فمها . فرفع ماكس حاجبه وقالت : « أقصد . . أرجوك . . ؟ »

ـ إبتسم ماكس ابتسامة ملتوية وأمسك بيدها ثانية وقال : « لا تقلقى يا كايرو . سأمسك بك جيدا » .

عبرا السهل فى صمت ، وتعلقت كايرو فى يده حتى خف مستنقع الجراد ثم انتهى وعندما خلت الأرضية الصخرية تماما توقف ماكس ونظر إلى يديها المتماسكتين .

وقال : « هل أنت على ما يرام ؟ »

همهمت وقالت : « أشكرك » .

ثم تركت يده وسار فى المقدمة وهى خلفه تراقب ظهره وهى تحاول تجاهل تشابك يديها . وافترضت أنها هنا للقيام بعمل هام . وأمسكت بالكاميرا فى محاولة لإقناع نفسها وماكس بأنها محترفة وإلتقطت عدة صور وهى تسير لإعطاء هايدن دين فكرة عن المنظر ، لكنها فى قرارة نفسها بدأت تظن أن ماكس على

صواب . من المستحيل أن يصل أى أحد إلى أعلى الهضبة هنا ولو أنها فكرت فى تأجير بعض البغال لحمل المعدات ، وعليها تخيل كيف تهبط عندما تخبر فريق الموضة أنهم سوف ينامون مع أبناء آوى فى العراء . فهم اعتادوا على فنادق الخمس نجوم وليس النوم تحت النجوم ، مثلها .

نظرت حولها كايرو فى محاولة لتحديد اللقطة . تجهيزات بالغة لفتيات رشيقات ، علب المكياج وكاميرات وناس مع ألواح مشبكية ، كل ذلك سيجعل أمرهم غريب وفى غير محله ـ وهذا ما تأكدت كايرو منه . فكر ماكس فى نفس الشىء .

وقد أحبطها التفكير فى رحلة الكابوس هذه بأنها لا تأتى بشىء على الإطلاق وأسوأ شىء هو أنها تعرف أنها لا تستطيع الإستسلام والعودة إلى الوطن . وعليها أن تلازمه حتى يقرر العودة والهبوط إلى المعسكر .

عندما نظر ماكس إليها لاحظ فى عينيها كلاما تريد الإفصاح عنه . فسألها : « ما الأمر ؟ » تنهدت كايرو قائلة : « لا شىء ، ووضعت حقيبتها فى الظل سعيدة للهرب من لهيب الشمس . وأضافت : لا شىء أكثر من العادى على الأقل . كنت أفكر فى مدى إمكانية تنظيم التصوير هنا أعلى الهضبة .

ـ « حسن ، هيا قوليها » لقد قلت لك ذلك » ! »

جلس ماكس بجوارها وأزاح قبعته للخلف على رأسه ، وقال : « أخبرتك بهذا »

رمقته كايرو بنظرة وقالت : « يجب أن أجد بعض المواقع البديلة على ما اعتقد ، ولكننى لا استطيع ذلك وأنا ملتصقه معك هنا . ومتى تعتزم الهبوط للعودة ؟ »

« عندما أكون بحالة جيدة ومستعد ، يا كايرو ، وليس قبل ذلك . فأنت ملازمة لى حتى أفرغ مما جئت لأقوم به . ولست فى حاجة لأن أذكرك بأنك غير مدعوة . أليس كذلك ؟ » ونظر إليها بعينيه الرماديتين .

قالت كايرو : « لا ، لقد قمت بنفسى بهذا الشىء ويجب أن أتحمله » .

قال : « لا أستطيع أن أقرر هذا بنفسى أفضل » وإبتسم وأضاف : « أريد فحص هذه المنطقة ، لذلك سأتركك لتشعرى بالأسف على نفسك . سوف تشعرين بما هو أفضل بالنسبة للأشياء بعد الراحة ، على أية حال . ولتجلسى هنا ولا تتجولى بأى شكل حتى لا تضيعين ولا أعثر عليك . فلن أتأخر » .

هزت كايرو رأسها بالموافقة وهى تراقبه يختفى فى أحد الشقوق ، وذهنها مشغول بالمشكلة بشأن موقع التصوير . وهى حريصة على ألا تعود وتخبر دين بأن فكرة إستخدام الهضبة للتصوير هى فكرة غير عملية تماما . وإن أفضل شىء هو إدراك بعض المتغيرات وأخذ الترتيبات كحقيقة واقعة . . ولكن متى تقوم بذلك ؟ فماكس قادر على الإحتفاظ بها هنا مدة أطول مما تحتاج ليلقتها درساً !

سمعته من مسافة وهو يصفر دون مبالاة . فالأمر على ما يرام بالنسبة له . فهو غير ملزم بأن يعطى تقرير إلى هايدن دين الأسبوع القادم . ووعد بيير بعودتها مع كل الترتيبات ويكون الأمر بغيضا لو عادت بلا شىء بقدمين متورمتين !

استغرقت كايرو وقتا فى التفكير فى المشكلة حتى بدأ صمت الصحراء . وهى لا تستطيع أن تفعل شيئا حيالها فى الوقت الحالى . وتساءلت وهى مستندة على الصخرة الباردة عما يفعله ماكس . لابد وأنه مسرور من أنها وافقت على أنه على صواب فى المقام الأول . واليوم صار ماكس أكثر ظرفا مما جعلها تفكر فى هذا . مرة أو مرتان إندهشت من نظرتها المستمعة إلى عينيه وقد بدا مختلفا عندما ابتسم . . . فقد جعلها دافئة الليلة الماضية وساعدها فى اجتياز الجراد الرهيب بالرغم من أنه أخبرها بأنها يجب أن تتواءم مه هذه الأمور . وهو لا يرحب بفكرة أن تقوم أى أنثى بفرض نفسها عليه . لم تكن هذه هى غلطته لأن يتخذ هذا القرار السريع . ومن الآن فصاعد يجب أن تكون هادئة فربما يدرك أنها وعيت الدرس ويغير رأيه فى البقاء على الهضبة .

كان الجو هادئا وجلست هادئة وظلت تتأمل فى شأن ماكس وهل ستعرفه بصورة أفضل وهل سيكون أكثر ظرفا مما عهدته ، وأدركت أنها لم تسمع صفير ماكس لمدة .

نظرت إلى ساعتها ، وقد جلست لحوالى ساعة . هى متأكدة من عودته الآن؟ وازداد الصمت ونهضت على قدميها فجأة .

نادت بصوت حاد مرتفع : « ماكس ؟ » إلا أن الصمت الرهيب هناك . ثم نادت ثانية : « ماكس ؟ »

ما من مجيب .

واضطرت إلى أن تنتظر خمس دقائق أخرى بينما أخذ قلبها يدق بعنف . لم تكن تشعر بمثل هذه الوحدة حتى أن الفراشات قد هجرتها ، ولم ترى جرادا الآن . إنها تثبت على الأقل أنها ليست الوحيدة من الكائنات الحية على الكوكب . طرطأت أذنيها لتسمع أية إشارة على أن ماكس قريب فكلما ركزت استماعها كلما أصم أذنيها الصمت .

عندما انتهت الدقائق الخمس تحركت مترددة تجاه التشقق حيث اختفى منه ماكس . كان قد أخبرها بأن تظل فى مكانها ولكن ماذا لو حدث شىء له ؟

نادت كايرو ثانية وتردد الصوت مما جعلها ترتجف رغم حرارة فى الجو .

وقالت لنفسها : « تجلدى ، وخطت بحذر إلى التشقق ، فماكس ربما يرقد مصابا بينما تتجول هناك .

كان التشقق مظلما وضيقا إلا أنها تحسست طريقها حتى خرجت منه من الطرف الآخر لتجد نفسها فى لهيب الضوء ، ثم عدد من الصخور وعدد من الممرات خارجة من عدد من الأجراف المرتفعة . وربما ماكس أسفل أى منها !

ضغطت كايرو بيدها على خديها وحاولت أن تفكر بعقلانية . لا يجب أن تكون مذعورة ! تحركت إلى الضوء وكان ماكس يتحقق من تشقق فى الصخرة .

سألها من ورائها ماكس : ماذا تفعلين هنا ؟ مما جعلها مذعورة جدا

وصرخت وقفزت ، وجحظت عيناها الخضراوتان .

ـ رفع ماكس حاجبه ونظر إليها وسألها : ماذا بك ؟ »

ـ قالت : لقد أفزعتنى .

ـ قال ماكس : « ما كان يجب عليك أن تتجولى هنا » وأضاف : « أخبرتك بالبقاء حيثما أنت . لم تفعل ما أقوله لك أبدا ؟ »

كم كانت كايرو مسرورة من رؤيته ثانيه وقالت : « جئت لأبحث عنك . لقد ذهبت مدة طويلة ، وفكرت فى أن شيئا ربما حدث لك » .

قال : « إننى استطيع العناية بنفسى . ربما كنت تتوهين وأنت تتجولين حول هذه التشقوق . فمستقبلا ، أرجو أن تفعل مثلما يقال لك وامكثى حيث استطيع أن أجرك » .

قالت : « حسن ، عندما تقع فى مكان ما وأجد رجليك مكسورة لا تتوقع منى أن أحضر واعثر عليك !

وأضافت : « لن أضيع أى مجهود فى القلق عليك مستقبلا ! »

قال ماكس : « لا حاجة بك لأن تقلقى . وإذا إهتممت بالتفكير على الإطلاق فلابد وأن تدركى أننى معنى بسلامتك » .

وحلق بعضهما فى بعض دون كلام ورفع قبعته حيث غاصت أصابعه فى شعره ثم وضع القبعة ثانية على رأسه وقال : « حيث أنك هنا فتعالى وشاهدى ما اكتشفته » وأضاف : « أنظرى هناك ، وهو يشير إلى صخرة معلقه . إنها تخفى سلسلة من الرسومات الصخرية البدائية باللون الأصفر . صيادون ، ونساء ، وأطفال وخراف وماشية وكلاب وشخصيات مجردة تغطى الصخرة .

وقفت كايرو فى صمت مندهشة من أن تلك الخطوط البسيطة ربما تعبر عن الحركة والحياة ، وتساءلت : من رسم هذا ؟

رد ماكس بهدوء : « لا نعرف حقيقة » وقد وقف بجوارها وأضاف « الصحراء مكان خصب ، ونحن نفترض أن هناك قبائل بدوية عبرت هذا منذ

آلاف السنين ، لكننا لم نتأكد بعد . وبدوا كما لو أنهم صيادون . لكن هذه الرسومات فى الغالب هى كل ما تركوا وراءهم . يمكنك أن تجدينها فى كل صخرة . معظمها لم يتم اكتشافه ، ولقد قابلت هذه بمحض الصدفة » .

هذا الكلام أعطى كايرو شعورا غريبا وهى واقفة هناك بجوار ماكس ، وهى تعرف أنها أول من شاهد تلك الرسومات التى منذ آلاف السنين .

وقالت : هناك أشياء لا تتغير على الإطلاق ؟ هؤلاء الناس الذين رسموا تلك الرسومات عاشوا حياة مختلفة إلا أنهم لابد كانوا يشبهوننا ، يحبون بعضهم البعض ويحبون أطفالهم ، ومالت لترى عن قرب اللوحه المرسومة فى الصخر وقالت : « هذه المرأة منذ آلاف السنين لكنها وأنا متشابهتان » .

رمقها ماكس وقال : « لا أتصور أنها ترفض التحرك بدون المسئول الشخصى عنها أو يتم السماح لها بقضاء الساعات حيال الروتين اليومى الخاص بجمالها ! »

قالت كايرو : « لم يكن هذا ما قصدته ، وابتسمت وهى تقول : « ولطالما الأشياء الهامة فى الحياة شائعة فإنه لدينا أشياء متشابهة مشتركة » .

قال ماكس وهو غير مقتنع : آه ، نعم ؟ »

قالت باصرار : كنت طفلة مثل أى طفلة أخرى . ويمكن القول من تلك الرسومات أن هؤلاء الناس أحبوا أطفالهم مثلما أحبنى والدى . وإنه فى يوم ما أود أن أتزوج ويكون لى أطفال أحبهم مثل تلك المرأة التى أحبت أطفالها ! .

قال : « هذا شىء مضحك ، ولا أظن أنك تفكرين فى طفل وأنت مصممة أزياء ثم تسلمينه إلى مربية لكى تنعمى بالهدوء » .

قالت : « لا ، أود أن يكون عندى أطفال » .

ـ من السهل بالنسبة لفتاة أن تجد زوجاً ؟ » وأضاف : أو تنتظرين أحدا غنيا بقدر كاف » .

نظرت إليه وكانت عيناها صافيتان وخضراوتان وقالت : « إنى أنتظر أحدا يحبنى حبا حقيقيا » .

وأمضيا الليلة فى أخدود . وكانت هناك كهوف عميقة فى قاع المنحدرات الصخرية .

كانت كايرو صامته بصورة غير عادية ، وعصبية كمراهقة . وكانت تخشى من أن عينيها تتقابل مع عينا ماكس لعله يقرأ فجأة الرغبة التى تملكتها . لم تكن تحب الرجل ! لماذا أسرع نبضها عند مجرد تفكيرها فى فمه ويديه ؟ لماذا يلتهب جلدها عندما تتذكر عندما كانت ذراعاه تحيطن بها ؟ لابد وأن تكون قلقة مما ستخبر به والدها لو كانت هذه الرحلة كارثة ، إلا أن ما تفكر فيه الآن هو ماكس وما إذا كانت ستشاركه حقيبة النوم ثانية الليلة .

لم تعرف إذا كانت أنها مشتاقة لأن ترقد بجواره ، أم أنها تغامر بأن يخونها جسمها . وتساءلت لماذا جسدها يفعل هذا ؟ وقالت لنفسها إنه رجل عادى . إنها فى بضعة أيام سيعودان إلى الطبيعية ، وسيكونا سعداء ليقولا إلى اللقاء لبعضهما البعض . والمدة التى تعرفت فيها على ماكس ؟ ثلاثة أيام ، ومن المستحيل أن تتصور عدم رؤيته ثانية .

بحلول الظلام حاولت كل جهدها أن تتصرف بصورة عادية وتتحدث وهما يتناولان وجبة بسيطة من الحساء والخبز . بدا أن ماكس عاد ثانية إلى طبعه السيىء ولم يدخر جهدا فى جعل المناقشة مستمرة .

وتناولا القهوة مثلما تناولاها الليلة السابقة . وقالت : « كان ينبغى إحضار حقيبة نوم معى » .

قال ماكس : « كان ذلك شيئا معقولا ، لكنك لا تستطيعين عمل شىء حيال ذلك . وعليك الآن أن تشاركينى » .

قالت « أنا آسفه . يبدو ذلك أمرا محرجا » .

قال : « ما الإحراج فى ذلك الأمر ؟ »

قالت : « حسن . . النوم معا ؟ »

قال : « لا يهمنى ذلك ، فالنوم كلمة مؤثرة ، ففتاه مثلك لا تهتم بى » .

أثرت فيها هذه الجملة واعتدلت تحملق فيه بنظرة متشككة . كيف تنسى ؟ ينبغى أن تعرف بمجرد أن يقبلها ! »

قطب ماكس جبينه تجاه ما قالته بعينيها وقال : ما هذا ؟ »

ـ قالت : « أنا أعرفك . أظن أنى أعرفك . أنت إبن دافينا فوثر جيل » .

عندما كانت صغيرة ، كانت دافينا مضيفة شهيرة ، ومشهورة بجمالها وبأنها ترث أزواجها الأثرياء . وكان جير الدفالكوثر هو أول أزواجها ـ تذكرت كاير الآن . وكان أكثرهم ثراء ، ولكن دافينا بعد أن تركته وطفليها صار الرجل منعزلا بصورة متزايدة . ولم تسمع إسمه يذكر لمدة سنوات .

وسألته : إنه أنت ، ألم يكن كذلك ؟ لم ينفوه ماكس بكلمة .

ثم قال : « ليست هذه هى الطريقة التى أفكر بها فى نفسى ، لكن نعم ، إنها أمى » . وأضاف وهو لم ينظر إليها : أنت متأخره : وأعتقد أنها تسمى نفسها الآن مسز كيلر مان » .

تذكرت كايرو أن دافينا تزوجت منذ شهرين للمرة السادسة . ومن الصعب أن يصدق المرء أن لها إبن مثل ماكس ، لكن كايرو تعرف أن هذه هى الحقيقة ، وتذكرت أنها كانت قد قابلته .

ونظرت إليه بطرف عينيها وتساءلت هل هو يتذكر ؟ إنها تأمل فى ذلك .

كان ذلك فى عيد ميلاد سنة جديدة ، منذ عشر سنوات مضت ، وتزوجت دافينا آنذاك زوجها الرابع حيث أقامت حفلا كبيرا وقامت بدعوة جمع من الأثرياء والمشاهير . وقد أخذ جيريمى كنجسوود إبنته المحبوبة والتى كانت فى السادسة عشر وقد استمتعت بمغازلة كل الرجال . إلا أنه كان هناك واحدا ظل غير متأثر بها وبجمالها .

ـ همست كايرو لصديقتها إميلى متسائلة : « من ذلك ؟ »

ـ « من ؟ »

ـ « الشاب الذى يقف بعد قيل هناك . ذلك الذى يبدو غير مهتم بأحد » .

رغم أنه فى أوائل العشرينات ، كان ماكس ينأى بنفسه عن المرح حوله .

ـ قالت إميلى : « هذا إبن دافينا ، ماكس . دائما دافينا تتجاهل أطفالها إلا أنها تلعب دور الأم هذا الكريسماس . وهذا جزء من صورتها الجديدة . ماكس أظنه يعيش مع والدة بينما شقيقته تحب أن تكون مع دافينا وقد أحضرته لينغمس فى العائلات المرحة . يبدو أنه يود لو كان فى مكان آخر غير هنا ، أليس كذلك؟»

أصرت كايرو بثقة فتاة السادسة عشر أن تخلب لب ماكس إلا أنه تجاهل ابتساماتها ونظراتها ولم يهتم بها . وكانت كايرو مصممة على كسب الرهان . فعندما وصلت الحفلة إلى منتصف الليل شاهدته يخرج إلى التراس مما جعلها تتبعه .

كان واقفا ويداه فى جيوبه ينظر إلى الحدائق ، وتقدمت منه كايرو قائلة : «دائما بمفردك.؟ »

ـ قال ماكس : « مثلما تشاهدين » .

ـ سألته كايرو بابتسامه : « ألا تحب مصاحبة أحد لترى مجىء العام الجديد؟»

ـ رد ماكس : « صراحة ، لا . وأنا غير مهتم بفتيات مثلك . فأنا أفضل التقنية المتطورة » .

لم تكن كايرو معتادة على أن يكلمها أحد بمثل هذه الطريقة ، مما جعلها تنسحب دون عراك كما لم تعتد على ذلك ، إلا أنها قالت : « ألن أحصل حتى على قبله منك بمناسبة العالم الجديد ؟ »

ـ قال ماكس : « هل هذا هو ما يجعلنى أتخلص منك ؟ » وتقدم نحوها وغرس أصابعه فى ذراعيها العاريتين .

ـ مما جعل كايرو تخاف فجأة . وقالت : « دعنى أذهب ! »

ـ قال : « لا . إنك تريدين قبله . والآن سوف تأخذينها » .

أضاف ماكس : « والآن أخذت قبلتك . إذهبى ومارسى فنك مع أحد

يعبأ بفتيات مدللات سخيفات » .

الآن ، وقد اجتاحتها ذكريات الماضى مما جعل وجهها ترتفع درجة حرارته ، وكانت كايرو سعيدة بالظلام حتى لا يستطيع ماكس رؤيتها بوضوح .

قالت : « ربما لا تتذكرنى . لقد تقابلنا فى حفل ذات مرة » .

استدار ماكس وعيونه الثاقبة المتلألئة فى ضوء القمر قال : « أتذكرك فعلا . أنت الفتاة التى صممت على أخذ ما تريده . لم تتغيرى كثيرا » .

قالت كايرو متسائلة : لماذا لم تقل إن كنت قد تعرفت على ؟ »

قال : « لم تتذكرى ذلك . فلماذا أذكرك بحادثة لم تكن ممتعة لأى منا ؟ »

ودت كايرو لو أمكنها نسيان ذلك ثانية !

وحاولت أن تبعد حرجها عن طريق ضحكه وقالت : « هل تعرف نسيت القبلة تماما ! كان ذلك أمرا سخيفا ، أليس كذلك ؟ »

أجاب ماكس : « سخيف جدا . وآمل ألا تكونى قد ألقيت بنفسك إلى كل رجل مثلما فعلت ؟ »

قالت كايرو : « إنها كحقيقة كان الأمر رهانا سخيفا مع صديقه لى » .

قال : « وهل ربحت الرهان ؟ »

ترددت كايرو وقالت : « لا . لم أربح الرهان . ولم أخبر أحدا عن القبلة . وتظاهرت بأنك رحلت » .

قال ماكس : « فهمت . هذا يفسر انتباهك على أية حال . لم أظن أننى من نموذجك » .

قالت : « لم تكن » .

قال ساخرا : « إن لم أكن أنا من نموذجك ، فماذا يكون نموذجى ؟ »

فكرت كايرو فى لمسة شفتيها لعنقه الليلة الماضية ، والقوة فى ذراعيه ودفء جسمه . ثم دفعت بتلك الأشياء جانبا . لن تكون فى حالة خزى مرة ثانية !

ثم قالت : « وماذا بشأنك ؟ أى نوع من البنات تحبه ؟ »

قال : « أحب فتاة ليست نموذجا . فتاة تكون لها ذاتها » .

شعرت كايرو بالغيرة وقالت : « من تكون هذا النموذج ؟ »

قال : « لست متأكد من أن هذا النموذج موجود » .

قالت : « لو كانت موجودة فلن تقابلها تخرج من منتصف الصحراء » .

نظر ماكس إلى ليل الصحراء الساكن وقال : « ربما أجدها تخرج من منتصف الصحراء ، أخذت كايرو تتلكأ فى تنظيف وجهها وتنظيف أسنانها على أمل أن تجد ماكس يغط فى النوم ، ولكنها أخيرا لم تستطع تأجيل الرقود بجواره مدة أطول من هذا . ظلت تفكر فى ماكس فيما كان وفيما هو عليه الآن . لقد إزداد عرضا واشتدت صلابته . لكن عينيه ظلتا كما هما .

ورقدت بجواره على بعد بوصات قليلة وحاولت أن تتخذ وضعا مريحا . وقال ماكس : « لماذا أنت متوترة ؟ »

ـ فقالت : « لا شىء . لم أجد النوم كهذا بصفة خاصة مريحا » .

ـ قال : « هل هذا يهمك أنك طلبت منى أن أقبلك »

ـ قالت : « بالطبع لا ! ربما أهتم بذكرى تلك القبلة الصغيرة السخيفة ! »

ـ قال : « أى نوع من القبل تهمك ؟ »

ـ قالت : « لا أى نوع ! »

ـ قال : « لا أصدق ذلك . لقد قبلتك مرتين الآن ، أتتذكرين ؟ »

ـ قالت : « أفضل أن أنسى » .

ـ قال : « هل ستنسين ؟ ومال ماكس قريبا منها حتى أن فمه يكاد يلمس فمها . وهمس لها بالقرب من شفتيها : « هل ستنسين ؟ ووضعت يديها على ذراعيه وإلى أعلى على كتفيه وهى مستريحه من الدفء الذى تشعر به ، وبجلده الناعم ، وعندما وجد ماكس فمها اجتاحها فيض من الرغبة . واشتدت ذراعاها وجذبته بالقرب منها حتى اعتصر جسده القوى رشاقة جسمها . كان فمه دافئا . وأدركت كايرو أن هذا ما كانت تفكر فيه طوال اليوم : قبلة ماكس العميقة ويديه

القويتين على جلدها . ثم رفع ماكس رأسه حتى تتنفس وكان هو يتنفس بصعوبة أيضا . إلا أن تعبير عينيه صدمها مما جعل ذراعيها تبعدان عن رقبته ، وقالت : « ظننت أنك لم تهتم بفتيات مثلى . وقال ماكس : « لا . لست مهتما . لنقل أننى كنت مهتما لرؤية ما إذا كان فنك قد تطور . وقد تطور ، ثم استدار وعدل من حقيبة النوم فوقهما كما لو لم يحدث شيء . ولم تتكلم كايرو وأدارت ظهرها حتى لا يرى وجهها ، ولكنها كانت فخورة بحضورها لانقاذه أخيرا .

وقالت : « فنك لم يتطور » وكانت تعرف أنها كانت تكذب .

الفصل الخامس

لازال جسمها ينبض بالحاجة الغادرة مما جعل كايرو راقدة مستيقظة طوال الليل إلا أنها فى النهاية غطت فى نوم عميق من الإجهاد المطبق .

تحركت عندما سقطت أشعة الشمس الأولى على وجهها وفتحت عينيها ببطء نصف مفتوحتين . ظلت راقدة لفترة وهى تعى السكون العميق وجمال المكان .

كانت راقدة تراقب الأعمدة الصخرية التى تحرس المدخل إلى الأخدود حيث يرقدان . كانت تشعر برقاد ماكس ساكنا بجانبها وأدارت رأسها باحتراس لترى ما إذا كان لا يزال نائما أم غير ذلك .

كان راقدا على بطنه ووجهه تجاهها . العضلات فى كتفيه القويين كانا فى حالة استرخاء إلا أنها تتذكر قوتها تحت أصابعها . بدا وجهه صغيرا وهو نائم وأقل صرامة وفمه منحرف قليلا كما لو كان يبتسم بينما يحلم .

تذكرت كايرو كيف أن لمسته جردتها من كل دفاعاتها . كيف ستواجهه هذا الصباح بالقبلة : التى مازالت تداعب إحساساتها ؟ ثم نهضت وسارت على أطراف أصابع قدميها . كانت لا تريد أن توقظه لذلك زحفت إلى مدخل الأخدود وهى مازالت مرتديه القميص تى شيرت التى نامت به . هى فى حاجة لأن تكون بمفردها فعلا لفترة .

أسفل الأعمدة الصخرية ، ترددت . تواجهها ما تشبه صخرة ، فإذا نزلت إلى هناك لفترة فلن تضل وسيكون من السهل أن تجد طريق عودتها إلى ماكس .

لكن ذكرى ماكس مازالت نشطة وهو ينام بجوارها ويده على فخذها وفمه على فمها .

سارت كايرو بسرعة كما لو أرادت أن تتخلص من الذكريات ، وتظاهرت كما لو لم يحدث شيء . ويجب أن تكون مؤدبة بصورة ثلجية عندما يتطلب الأمر ، وتتجاهله باقى الوقت ، ومع قليل من التحفظ سيكون هو وحده الذى يشعر بالخزى .

تنحنى الصخرة قليلا ودون تحذير تنزلق بعيدا إلى منحدر شديد الإنحدار مغطى بالصخور والحجارة . وهى منغمسة فى أفكارها انزلقت كايرو واندفعت إلى أسفل . وآخر قطعه كان إنحدار طول ثمانية أقدام أو نحو ذلك إلا أنها تدلت من الصخرة دون أن تفكر وغرضها الآن أن توضح لماكس أن قبلاته لا تهم على الأقل فى الوقت الحالى .

كان هواء الصباح صافيا ومنعشا وبدأت تشعر بالهدوء وسارت . إنها لم تكن هى التى يشغلها قبلتين ، إنها هى التى دائما تفخر بنفسها حيال تكلفها ! أحسن ، لم يحدث هذا ثانية . إن كل ما يجب أن تفعله هو الوصول إلى المكان الذى تقصده فى اليومين القادمين ، ثم تستطيع أن تضع ماكس فالكونر بعيدا عن ذهنها وإلى الأبد .

حيث أنها قررت أنها أكثر من قادرة على مواجهته الآن استدارت كايرو وعادت إلى الصخرة لكنها تأكدت من أن العودة إلى ماكس ليس بالسهولة التى كانت تظنها .

عضت شفتها ونظرت إلى أعلى الصخرة وهى تقريبا نصف الطريق إلى أعلى المنحدر .

كانت المسافة عالية لأن تتسلقها وجوانب الصخرة ملساء لو حاولت القفز . سارت كايرو بحذر على قاعدة المنحدر تبحث عن طريقة أخرى للتسلق ، إلا أنه ما من أمل وأدركت الذعر حيث بدت الصخرة كجدار من الزجاج .

لو استطاعت الصعود على الصخرة فسوف تستطيع توجيه نفسها باقى الطريق . حاولت كايرو بضع قفزات ميتة ثم بدأت بالجدار لكنه لم يكن هناك أى تشقق دقيق حتى لغرس أصابعها فيه ، وحاولت تثبيت أقدامها على الصخرة الملساء ولكن دون جدوى .

خطت خطوة إلى الوراء لالتقاط أنفاسها ، كان ذلك حق . إن ما كان عليها هو أن تتسلق بضعة أقدام . لابد من وسيلة !

تساءلت إذا كان ماكس مستيقظا ، أم أفتقدها الآن ، هل سيأتى باحثا عنها ؟ تنفست كايرو بعمق ثم قفزت ثانية إلى الصخرة وحيث أنها سقطت تعثرت والتوى كعبها بصورة سيئة تحتها . صرخت عندما شعرت بالالتواء ولمدة دقيقة فى التراب تعض شفتها حيث واكب الألم الصداع .

لم يعزمها هذا على أية حال ففكرت ومدت رجلها لتفحص كعبها . كان ذلك التواء فى المفصل لكنه مؤلم . لم تصعد الصخرة الآن وفكرت فى ذعر المتزايد . كيف كانت بهذا الغباء ؟ غبية وبدون تفكير ومهملة . هذا يعد لا شيء لما سيقوله ماكس لها عندما يجدها . هذا لو عثر عليها .

ناضلت كايرو لتقف على قدميها . نادت : ماكس ! ماكس ! وأمكنها سماع صدى صوتها يتردد من جدران الصخرة . فراغ الصوت جعلها ترتجف قبل أى إجابة .

ـ « كايرو ؟ »

ـ « أنا هنا » ردت عليه وشعرت بارتياح .

ظهر ماكس بعد دقيقتين على قمة المنحدر ، واعتدلت عندما شاهدته . وكل ما يعنيها أنه هنا وهى الآن آمنة .

ـ سألها : « ماذا تفعلين بأسفل هناك ؟ هل تدركين ما طول المدة التى أبحث فيها عنك ؟ »

ـ قالت كايرو : « أردت المشى . ولم يبدو الأمر صعبا للهبوط ولكننى لم

أستطع الصعود ثانية ، والتوى كعبى » .

ـ قال : « آمل ألا يؤلمك . أخبرتك ألا تتجولين بمفردك ، لكنك لم تصغى لى ؟ لا ! أى أحد آخر كان فهم أن الصخرة مكان خطير ، ولكن كايرو كنجسوود لم تتكلم ! لا ، قامت من النوم وخرجت دون أن تدعنى أعرف أنها ذاهبة .

لم ترد كايرو أن تضايقه أكثر من هذا وقالت : « إني آسفة » .

قال ماكس : « فى يوم من الأيام سوف تجدين أن الوقت قد فات بالنسبة للأسف . ولو كان لدى أى إحساس لكنت تركتك بأسفل هناك وأعلمك درسا! ، ثم شق طريقة أسفل المنحدر الصخرى باحتراس ثم وصل إلى فوق قمة الكتلة الصخرية التى حاولت كايرو أن تصل إليها .

مال ماكس إلى الأمام ومد يديه تجاهها وقال : « لو استطعت مسك يدى فلسوف أجذبك إلى أعلى » .

قام ماكس بمحاولتين وأخيرا نجحت كايرو فى أن تمسك به وشعرت بالقوة تسرى فى يديه إحمر وجهه من المجهود ورفعها إلى أعلى بينما تدفع بقدمها على الصخرة حتى وجدت نفسها تقع عليه . لم يتكلم أى منهما حتى التقطا أنفاسهما وفجأة أدركت أن القميص تى شيرت إرتفع فوق فخذيها وجذبته كايرو إلى أسفل واعتدلت غير قادرة على منع ألم رجلها المصابة .

ـ قال ماكس : « دعينى أرى ، وأخذ قدمها حيث مسكها بقوة ولو أن أصابعه كانت رقيقة دون أن تتوقع ذلك إلا أن تعبيره كان متجهما ثم تركها تذهب . وأكد قائلا : « إنها إلتوت . وهذا يعنى أنك أصبحت عائقا أكثر من ذى قبل . ولا أظن أنني قد قابلت أى واحدة قادرة على أن تكون غبية وأنانية وغير مسئولة تماما مثلك يا كايرو ، وكان صوته هادئا مما جعلها تجبن وعرفت أن الكثير من غضبه نابع من نتيجة الخوف عليها . وأضاف : « لقد أجبرتنى على رفعك إلى أعلى وجعلتينى متأخر وشغلتيني عن عملى ، والآن نحن على مسيرة يوم كامل من المعسكر مع نقص الماء والطعام وأنت تذهبين وتلوين كعبك لأنك أنانية جدا

وغبية لا تنصتين إلى نصيحتى بشأن سلامتك ! ولولا أنت لكنت قد فرغت من هنا اليوم وبدأت العودة إلى المعسكر ، أليس كذلك ؟ والآن علينا أن ننتظر حتى ينتهى الورم وتستطيعين المشى ثانية » .

ـ قالت كايرو بصوت خافت : « أستطيع المشى اليوم » . كان على حق . فكرت فقط فى نفسها . كانت أنانية ومتغطرسة مثلما قال . وقالت : « أحتاج فقط أن أربطها » .

ـ قال ماكس : « لا تكونى أكثر غباء مما أظهرتيه فعلا ! لا تستطيعين الذهاب إلى أى مكان على كعبك اليوم ، وأخذ ذراعها وجذبها واستمر فى محاضرته وهو يشدها نصف شدة إلى أعلى المنحدر .

عضت كايرو شفتها لكى لا تصرخ من الألم والأحجار تحت قدميها وعندما اقتربت من القمة كادت تنزلق وتسقط إلى القاع ثانية لولا أن ماكس كان ممسكا بها بشدة . وزنها جذبة ليفقد توازنه ويتعثر إلا أنه أنقذ نفسه بأن أمسك بالأحجار بيده الخالية قبل أن ينزلق ثانية .

ـ قالت : « ماكس ؟ » وأمسكت بذراعه بكلتا يديها بينما اختلف لون وجهه وجلس على ركبتيه ممسكا برسغه . وأضافت : « ماكس ، ما هذا ؟ » نفرت عضلات رقبته وهو يقاوم الألم . ونجح فى أن يقول بجهد رهيب : « شيء ما عضنى . ولتشاهدى ما هذا » .

نظرت كايرو حولها وهى مرعوبة شاهدت ذيل ثعبان يندس بين الصخور . وقال ماكس : علينا أن نخرج من هذا المنحدر . هل تستطيعين التحرك ؟ »

ثم وصلا إلى القمة وتجاهلت كايرو الألم فى كعبها وأخذت تجذب ماكس إلى ظل وافر للبروز الصخرى وجلست على ركبتيها بجواره . علامات الألم بدت على وجهه واستند على الصخرة وتصبب عرقا . وعندما مالت برأسها أمكنها رؤية علامتين لثقبين فى يده .

سألها : « هل رأيت » ماذا كان ؟ أية علامات مميزة ؟ »

قالت : « كان ثعبانا ، ولكننى لم أر سوى الذيل ولم يكن هذا قدراً كافيا لوصفه » أغلق ماكس عينيه وهمس : « علينا الإنتظار لنرى . ألم تعرفين كم هو سام » .

قالت كايرو وهى مرعوبة من مظهره : « ماكس سأذهب لاحضار الإسعافات الأولى من حقيبتك . وحافظ على هدوءك بقدر ما تستطيع حتى أعود ولن أتأخر » كانت عيناه مغلقتين واستطاع أن يهز رأسه .

ثم تحركت وهى تتألم من كعبها ، ولم تدرك المسافة التى قطعتها . ولو استطاعت أن تسرع ، ولو لم يحدث إلتواء فى كعبها ولو لم تكن شرعت فى ذلك المشى على الإطلاق !

وصلت كايرو إلى حقيبة ماكس حيث كانا يعسكران وقررت أخذ حقيبة الظهر وفراش النوم .

كانت تتلهف للعودة إليه ، وربطت كعبها أولا . ولو كانت هناك سناده لانخفض الوقت الذى تستغرقه . ثم رفعت حقيبته على ظهرها .

كان الحمل ثقيلا وإنما كانت قوة الإرادة التى جعلت كايرو تعود إلى الصخرة بأسرع ما يمكن . وعندما عادت وجدت ماكس راقدا دون حراك وظنت أنه مات، حيث همست : « لا ! » كما لو أن الدنيا أظلمت ، ثم حرك رأسه وسقطت على ركبتيها بجانبه ، دون أن تهتم بألم كعبها ، وأضافت : « ماكس ! آه، ماكس ! هل تسمعنى ؟ »

ـ فتح ماكس عينيه بصعوبة هائلة ونظر إلى وجهها وهمس : « عُدت » .

ـ قالت : « آسفة لتأخرى . لم أستطع المشى بسرعة ، ورفعت غطاء الزمزمية ورفعتها إلى شفتيه كى يستطيع أن يشرب ، ثم بللت الفانلة بالماء ومسحت وجهه ورقبته . ولم تعرف إذا كان ذلك كله يساعد فى هذه الحالة أم لا ، ولكنها أرادت أن تفعل شيئا . كانت شفتاه بيضاء اللون ويضغطهما على بعض بشدة . وسألته : « كيف تشعر ؟ » وكانت تأمل فى أن صوتها لا يكشف عن الرعب الذى

تعيش فيه .

ـ همس : « لازلت على قيد الحياة » ورغم الألم إبتسم ابتسامه خفيفة وأضاف : « هذه علامة طيبة . ولو كان ثعبانا من الثعابين التى تقلقنى ، لكنت فى اعداد الأموات الآن » .

وفحصت كايرو مجموعة الإسعافات الأولية فلم تجد المضاد لعضة الثعبان لكنها وجدت بعض أقراص البنسلين وأعطته أربعة أقراص . وفرشت فراش النوم ونجحت فى جذب ماكس لينام عليه وكان يشعر بدوخة شديدة ويعرق بغزارة .

وسألت نفسها : لماذا هى غير نافعة ؟ كان ماكس على صواب . ولم تكن قادرة على التعامل مع بيئة مثل هذه . لقد قرأت كتابا عن الصحراء خاص بالبقاء على قيد الحياة وذلك قبل أن ترحل ، وبه جزء كامل عن كيفية التعامل مع العضات واللدغات ، إلا أن ذلك كله أصبح فى طى النسيان . وكل ما استطاعت تذكره هو جعل ذراعه ساكنه بقدر الإمكان ، وجمعت فروع شجرة عتيقة متخشبة من حرارة الشمس حيث صنعت من أحدها جبيرة وأشعلت فى الباقى النار لأجل الماء .

ـ سألها ماكس بصوت ضعيف : هل تعرفين ماذا تفعلين ؟

ـ قالت : « آه ، نعم . أقوم بمجموعة الإسعافات الأولية » .

ـ قال : « حقيقة ؟ »

ـ قالت : « حسن ، لا . سيجعلك الأمر تشعر بتحسن لو ظننت أنى محل ثقة . إنى استخدم عقل » .

ـ همس ماكس : « لم أعرف أن لديك عقل » وابتسم ابتسامه خفيفة مرة أخرى .

ـ قالت : « لم أعطِكَ سببا لتفكر هكذا ، هل أنا أعطيتك ؟ »

ـ قال : « أنا آسف لصراخى فى وجهك ، يا كايرو ، لقد كنت خائفا لئلا أجدك أبدا ، ثم فجأة كنت هناك . ولا أعرف لماذا فقدت هدوئى . . . »

ـ قالت : « سيكون الأمر على ما يرام ، لقد فهمت . أنا أستحق كل شيء تقوله . ولا يهم ذلك الآن . إن كل ما يهم هو أن تتحسن . وهل الضمادة محبوكة جدا ؟ »

وهمس ماكس : « ربما تعرفين ما تفعلين ، عموما » .

لازال يعرق ويتألم بوضوح ، ولكنها تشعر أنه ما من شيء أكثر من هذا الذى فعلته تستطيع القيام به حاليا .

ولتشغل كايرو نفسها بحثت فى حاجيات ماكس لترى ما لديهما من مؤن . الماء لم يكن بمشكلة مباشرة ولكنها لا تعرف مدى أن يكون كافيا أثناء وجودهما هناك . لابد وأن تكون حريصة بالنسبة للماء .

واستطاعت صنع شاى على الموقد ، ثم وضعت بالشاى السكر حتى ينعشة قليلا وصبت لنفسها بعضا منه . لم تكن قد تناولت شيئا منذ خروجها فى الصباح وكان الجوع والإجهاد قد جعلاها على وشك الإغماء وفى هذه الحالة لا تكون نافعة بالنسبة لماكس مما جعلها تأكل برتقالة وقطعتى بسكويت .

كان هذا اليوم هو أطول يوم فى حياة كايرو . وذهبت لتحضر حقيبة ظهرها أيضا رغم الألم من كعبها حيث قالت لنفسها إنها تستحق كل لحظة ألم . شعرت بعبء الذنب والندم والخوف .

كانت درجة حرارة ماكس مرتفعة ولكن وهج الشمس التى تغرب عمق من إحمرار وجنتيه .

وكان أجمل غروب تشاهده كايرو ، حيث شاهدت الظلال يمتد طولها وتزداد ظلمة واكتنف الظلمة والصخور . وجدت نفسها تلاحظ التفاصيل الدقيقة ـ الإنحناء التام لكل كومة من الرمال التى تراكمت على جانبى الصخرة ، كانت حبات الرمال تلمع مثل المعدن ـ وكانت تركز عليها وربما نسيت الألم والخوف على ماكس .

أشعلت النار عندما أطبق الظلام حيث استخدمت فروع الشجرة التى

وجدتها . بدأت بعض متاعبها حتى تذكرت الفيلوفاكس . وفكرت فى أهميته وتساءلت هل هو هام بالنسبة لها ؟ وتذكرت كل السنوات عندما كانت مدلله ومنغمسة فى الحياة . ولم يكن لديها شيء سوى إمتاع نفسها فى هذا اليوم . ألم تستطع فعل شيء نافع على الأقل ، كمجموعة الاسعافات الأولية ؟ لم يستغرق الكثير منها لكنه غير كاف تماما الآن . وتفحصت أرقام تليفونات بعض الأشخاص التى قابلتهم فى أحد الأيام . فكم منهم يكون ذا نفع الآن ؟ وتذكرت كم قليل منهم وقف بجانبها عندما إحتاجتهم ، بيير كان صديقا جيدا . لكنها عرفت أنه سيفضل فى موقف كهذا ، ماكس لم يكن يدع الأشياء تسيطر عليه ولكنه لم يحتاج إلى تليفون لينظم حياته . قامت بتقطيع العديد من الصفحات ببطء .

ـ همس ماكس : ماذا تفعلين ؟

ـ قالت : « أصنع نارا ، وقربت الكبريت من أحد الأكوام الورقية التى قطعتها . وأضافت : أظن أننى سأقوم بتسخين بعض الحساء . لابد أن تحاول وتحصل على بعض منها » .

ـ قال بصوت ضعيف : « أليست تلك مفكرتك الثمينة التى تقومين بتمزيقها ؟ أظن أنك لا تستطيعين العمل بدونها ؟ »

أضافت كايرو المزيد من الورق الممزق إلى النار وابتسمت إليه وقالت : « لا استطيع . أنظر كم هى مفيدة الآن . عرفت أنها ستكون مفيدة » .

ـ وقال ماكس فى ضعف : ، وهناك كنت أفكر فى أنك لن تعرفين ما تفعلينه فى الصحراء ! »

بدا وأنه تحسن مما جعل معنوياتها ترتفع ، لكن برغم تناوله الحساء إنزلق ثانية فى حمى غير مستقره هددت بحرق جسمه من درجة حرارتها المرتفعه . لم تنم كايرو حيث أخذ يهذى باسمها مما جعلها تشعر بالذنب . وكان الخطأ هو خطأها .

ـ قالت : أنا هنا . أنا هنا . أنا لن أذهب بعيدا . سأفعل أى شيء تقوله عندما تتحسن يا ماكس ، أرجوك . أرجوك ، وكانت الدموع تنهمر من عينيها

على وجهها .

شعرت بالإرهاق عند الفجر حيث جعلت النار مستمرة طول الليل وتصنع الشاى عندما يتفوه ماكس باسمها .

ـ « كايرو ؟ »

تهللت أساريرِ وجه كايرو عندما رأت أن الحمى إنكسرت حدتها ، وهللت فى فرحه : « ماكس ! »

وجثت على ركبتيها بجوارة تتحسس وجهه وسألته : « كيف تشعر الآن ؟ »

ـ « أنا بخير ـ شكراً لك ، ولمس يدها وأضاف : « من يفكر أنك تقومين بتمريضى جيداً مثل هذا ؟ »

ـ قال : لقد كنت عديمة النفع .

ـ قال : « لم تكونى عديمة النفع . وأنت تعرفين أنى كنت أول واحد أقول أنك عديمة الجدوى لو كنت كذلك ، ولكنك لست عديمة النفع ! لم أتذكر كثيرا عن الليلة الماضية ، لكننى عندما كنت أفيق كنت دائما هناك تتحدثين إلى وتعطيننى جرعات من الماء » وسكت لحظة وضغط بيده على يديها وأضاف : « أحتاج إليك يا كايرو . فربما تعود الحمى ويكون الأمر أسوأ بدونك » .

ـ وقالت : « لم يكن قد حدث هذا لو لم أكن معك ، ثم انفجرت باكية واضافت : « آه ، يا ماكس ، أنا جد آسفة ! إن الخطأ خطأى تماما . كل شىء هو خطئى . فأنا آسفة جدا » .

ـ ربت ماكس على شعرها وهدأها قائلا : « وهو كذلك . إنتهى الأمر الآن . أنت مجهدة يا كايرو . ألم تنامى على الإطلاق ؟ »

ـ « لم أستطع . أظن . . أظن ، ولم تستطع الكف عن البكاء .

تركها ماكس تبكى قليلا ، ثم مسح عينيها كطفلة . فقالت : « أنا آسفة لقد تصرفت تصرفا سيئا جدا » .

ـ قال ماكس : لم لا تعدين بعض الشاى ؟ ثم تخلدين إلى النوم .

ـ قالت : لا أستطيع النوم ! وماذا عنك !

ـ أوضح ماكس : « لن أذهب إلى أى مكان . سأكون على ما يرام . يمكنك أن ترقدى بجوارى ثم يمكننا أن ننام » .

ـ قالت : « لكن »

ـ قاطعها ماكس قائلا : « لا جدال . ربما كنت أهلوس ، بالطبع ، ولكن الليلة الماضية سمعتك تعدينى بأنك ستفعلين بالضبط ما أقوله لك مستقبلا ! »

ـ خجلت كايرو وقالت : « فعلا وعدتك ، وسأفعل ذلك ، لكن »

ـ قال ماكس : « لكن لا شىء . لن تكونى ممرضة جيدة إذا كنت متعبة جدا ويكون تفكيرك سلبياً ، وعلى أية حال إنك تحتاجين راحة لأجل كعبك . ولا ينبغى حمل تلك الحقيبة ورجلك بتلك الحالة ! »

ـ قالت : « يجب على ذلك »

ـ قال : « أعرف أنك ستفعلين ذلك . ظننت أنك مدللة وستنهارين يا كايرو إلى قطع عند أول علامة من علامات الأزمة ، ولكننى كنت مخطئا . وكنت سعيدا أنك كنت هنا الليلة الماضية » .

ـ وقالت : « سأعد الشاى » .

تناولا الشاى فى صمت ، وأغلق ماكس عينيه كما لو كان متعبا من الحديث ثم فتحهما وقال : « تبدين رهيبة » .

ـ « شكرا ! »

ـ « لماذا لا تنظفين وجهك ؟ عندئذ تشعرين بتحسن ، ولطالما كنت مصره على أخذ اللوسيون وغيرها من مستحضرات التجميل فاستخدميها كذلك ! »

وأضاف بعد ذلك : لقد أصابك التواء الكعب دون أن تكونى مهيأة لإمكانية التجعد كذلك » .

كانت كايرو مرعوبة وهى تتفحص وجهها فى مرآة صغيرة وعليها أن تستخدم المنظف عدة مرات . كان ماكس على صواب . لقد شعرت بتحسن فعلا عشر

مرات بعدما نظفت وجهها . ونظرت إلى المرآة ووجدته يراقبها ، فاحمرت وجنتاها ، ثم قالت : « هل أبدو أفضل ؟ »

قال : « نعم ، وتبدين فى الحقيقة فى أحسن الحالات التى رأيتك فيها » .

ثم رقدت كايرو بجواره ، وقالت وهى تضحك : لم أدرك أننى أبدو سيئة تماما فى المعسكر » .

ـ قال : « تبدين على ما يرام . أظن أننى أفضلك هكذا » .

نامت كايرو طوال اليوم . وعندما استيقظت وجدت وجهها يضغط على كتف ماكس إلا أنها لم تبتعد مباشرة ، إلا أن الجوع هو الشىء الوحيد الذى جعلها تتحرك . فقامت بتسخين وجبة على الموقد لأن النار خفتت ، ثم تناولا طعامهما . وبعد ذلك إستندا على الصخرة يراقبان النجوم وهى بادية فى السماء الزرقاء .

ـ سألها ماكس فجأة : « من أين حصلت على ذلك الإسم اللعين ؟ حتى أننى أتذكر فى تلك الحفلة فى ليلة رأس السنة أننى فكرت فى أن نموذجك لا يمكن أن يكون له إسم عادى مثل أى واحدة أخرى » .

ـ إرتجفت كايرو عندما تذكرت الحفلة . فهى تذكرها بأنها كانت تلك الفتاة المدللة السخيفة .

ـ وقالت : « ولدت فى القاهرة . ولا أتذكرها كلها لكن والدى كان دائما يقول إنهم كانوا سعداء هناك لذلك قرر أن يطلق على إسم المدينة . لقد كان دائما رومانسيا جدا »

ـ قال : « رومانسى ؟ جيرمى كنجسوود ؟ وأنت ابنته ، ألست كذلك ؟ »

أومأت كايرو برأسها متسائلة عما إذا كان ماكس قد عرف الفضيحة التى ألمت بوالدها إلا أن كلمات ماكس التالية أشارت إلى أن الأنباء لم تصل بعد إلى الصحراء .

ثم قال : « لا أظن أن والدك كان رومانسيا . دائما ظننت أنه رجل أعمال

ناجح ـ وقاسى للغاية » .

كانت كايرو صامته . فكثير من الناس ظنوا ذلك عن والدها وفرح معظمهم لتداعيه .

وقالت : لم يكن أبدا كذلك معى . ماتت أمى عندما كنت صغيرة جدا لذا كنا دائما قريبين من بعض . واعتاد على تدليلى وكان يشترى لى الهدايا لكى يوقف شعوره بالذنب لعدم وجوده معى طوال الوقت . فالأمر لم يكن كذلك . فكنت أحب أن أكون معه » وتذكرت كيف تصرفت مع ماكس فى البداية . ولا عجب من أنه لم يكن يحبها .

ـ واستمرت كايرو فى حديثها : لم تكن الهدايا هى التى أفسدتنى . وإنما كان الأمر هو أننى كبرت وعرفت أننى بالنسبة لوالدى شىء خاص ، فهو يحبنى مهما فعلت . وقد اعتدت على طريقتى الخاصة . فلم يتقدنى والدى . فاعتدت على أن أظنه مثاليا » .

ـ قال ماكس مرددا : « كنت معتادة ؟ ألم تظنين أنه مثاليا بعد ذلك ؟ »

ـ قالت بهدوء : « لا ، لا أظن أنه مثالى ، لكنى لازلت أحبه . فهو والدى . ما من شىء يمكن أن يغير من ذلك » .

ـ قال : « أنت متسامحة أكثر منى . كنت أظن أن أمي كانت مثالية حتى بلغت التاسعة وتوقفت عن كونها أمى عندما تركت جوانا وأنا خلفها . وجوانا تصغرنى بأربع سنوات . لا يمكنك تصور ما يعنى لفتاة صغيرة فى الخامسة من عمرها أن تهجرها أمها » .

لم تتكلم كايرو . فبإمكانها تصور ما هو بالنسبة لصبى فى التاسعة كان يظن أن أمه كانت مثالية .

ـ وأضاف ماكس : « والدنا لم يكن يريد أى شىء يذكره بوالدتنا ، لذا تم تركنا لإرادتنا . شعرت دائما بمسئوليتى تجاه جوانا ، ولازلت . فحاولت جوانا فى الكبر أن تقلد أمها . فدخلت العالم الإجتماعى لكنها لم تستطع أن تواكب النفاق

والتعامل بوجهين . فعندما تسير الأمور فى المسار الخطأ أعود إلى لندن لأقومها » .

ـ قالت كايرو : « ألا تستطيع أن تخرج نفسها من ذلك . كنت أظن أنها تستطيع مثلى ؟ »

ـ قالت : « ليست جوانا قوية مثلك » .

ـ قال : « لم أكن قوية إلى أن توجب على أن أكون قوية » .

ـ قال : « لكنى لا أظن أن جوانا تستطيع أن تواثم نفسها مع الأزمة بالطريقة التى تناولتها . لم تكن دائما واثقة من نفسها . فجوانا لديها سحر لكنها رقيقة ، بينما أنت . . . ، ونظر إلى كايرو وأضاف : « أنت أكثر حيوية ، واستمر : « جوانا تحتاج إلى شخص ليرعاها » .

شعرت كايرو بالاستياء لأنها تأكدت من أنه أكثر إهتماما بشقيقته .

ـ وقال ماكس : « هذا ينبغى أن يكون عمل زوجها . لم أحبه أبدا ـ كان مدير إعلان ـ لكن جوانا ستتزوجه . من الواضح أنه مهتم بها وحيث أنه الآن أنفق معظمه فقرر أن يتخلص منها لأجل موديل عمرها ثمانية عشر عاما . وانصرفت جوانا إلى شخص آخر مليء بالكذب علاوة على أن جوانا تظن أنه متورط مع إمرأة أخرى . وخطابات جوانا مليئة ، ولو صار الأمر كذلك ، فيجب أن أعود إلى لندن لزيارتها » .

ومن الواضح أن ماكس يحب شقيقته حبا جماً ، وفكرت كايرو فى ذلك بغيرة . وتساءلت عما إذا كان سيسافر إلى لندن كما قال أم غير ذلك . لم تتخيله كايرو وهو فى المدينة مرتديا حله ويسير فى الشوارع المزدحمة . فمكانه هنا بقبعته وملابسة التى عليها بقع زيتية تحت سماء الصحراء الشاسعة . وارتادها تفكير قاسى بأن ماكس ربما لا يريد رؤيتها . لماذا هذا ؟ وليس هذا الأمر يجعله يغير رأسه حيالها ، إلا أنها عرضت حياته إلى الخطر فى نهاية الأمر ، فما من شىء على الأرض يجعله يريد من رؤيتها بعد ما جعلت من نفسها شيئا مزعجا ؟ فلديه السبب ، كل السبب لعدم حبه لها ، وإدركت كايرو بكآبة ذلك عندما يتخلص منها نهائيا ويتنهد تنهيدة التخلص من العبء .

الفصل السادس

كايرو رمقت ماكس بنظرة . وكان ينظر إلى النجوم حيث كان يفكر ثم حولت نظرتها لتتفرس قسمات وجهه واستقرت على فمه مما جعلها تشعر برعشة خفيفة داخلها .

وقالت لنفسها هذا مجرد رد فعل . وإن أى أحد يشعر بأنه غريب بعد ليلة بدون نوم . لم تكن فى الحقيقة تريد أن تلمسه وأن تجعله يستدير ويبتسم لها ويقبلها ويقول بالطبع أنه يريد أن يراها ثانية . لقد كانت قلقة بشأنه جدا فى بضع الساعات الماضية وهى الآن تنتابها الهواجس معه ، هذا كل ما فى الأمر .

أدار ماكس رأسه ليجدها تراقبة وتلاقت عيونهما . شعرت كايرو كما لو أن يدا تعتصر قلبها بشدة . فلم تستطع التحرك ولم تستطع التنفس ، وتساءلت عما إذا كان باستطاعته قراءة شوقها المكتوب فى عينيها .

قالت لنفسها لست واقعه فى حبه ، وهى راقدة بجواره تلك الليلة تحاول ألا تفكر فى مدى قربها منه وهما راقدان . هو ينتمى للصحراء ، وهى تنتمى للمدينة . هو هادىء ومعتز بنفسه ، أما أنت فطائشة ومدللة . فهو ببساطة ليس كنموذجك . الوقوع فى غرام واحد يكرهك معناه أنك تسعين للمتاعب .

قررت وقالت لنفسها لا يمكن أن أحبه . ولن أريد .

ـ قالت : « إن الماء لن يطول بقاؤه » . وكانت تحافظ على أن تكون هناك مسافة بينهما .

تشككت فى أن ماكس لاحظ ذلك . كان نومه قلقا وعرفت أنه لا يزال يتألم ولو أنه لا يريد الإعتراف بذلك .

عندما تناول الزمزمية وجد أنها فارغة من الماء فقال : « من الأفضل أن أذهب وأحضر المزيد . هناك مجرى على بعد مسيرة ساعتين من هنا حيث تأتى الماء على السطح . استطيع أن أملأها من هناك ، إحتجت كايرو قائلة : « لا تستطيع المشى لمدة ساعتين . وسوف أذهب أنا » .

قال ماكس وهو يحاول أن ينهض : « تذهبى وكعبك يؤلمك ؟ فلن تستطيعى » .

قالت : « لست مصابة بحمى وكعبى تحسن كثيرا . أنظر ، وقامت باختبارى حركة كعبها على الأرض لتوضح له هذا ، وجاهدت حتى لا تجفل .

وقال : « لا تستطيعين الذهاب بمفردك . فسوف تضلين الطريق » .

قالت : « يمكنك أن ترسم خريطة لى » .

قال : « لا . فلن أدعك تذهبين » .

فكرت كايرو فى أنها لم تحبه ، قررت هذا الليلة الماضية . أيا كان الأمر فإنها ستعود إلى لندن فى النهاية ، ولا تريد أن تفكر فى مدى الهجر الذى ستشعر به فيما بعد .

قالت له بجدية : « لست قويا بقدر كاف للذهاب . أنظر إلى نفسك فإنك تقف بصعوبه ! »

قال بعناد : « أنا على ما يرام » .

ـ قالت : « لست على ما يرام ! أنت مريض ! »

قال ماكس : لا تكونى مزعجة ، يا إمرأة ! إذا كنت تفعلين هذه الضجة ، فلسوف نذهب سويا ، استغرقت المسافة أكثر من ساعتين وكان المشى بالنسبة لهما كفاحا حتى وصلا إلى مكان الماء . وكانت الزهور متفتحة هناك .

كان هواء الهدوء والوفرة فى الماء يخيم على الواحة . نسيت كايرو ألم كعبها ،

ووجدت أشجار الأرز نشطة بطنين النحل ، وشعرت بإحساس النعاس يسيطر عليها . كان عصير البرتقال لذيذا وعطر الزهور يملأ الجو .

جلس ماكس بجوارها ينصتان إلى النحل استطاعت كايرو أن ترى التراب على قبعته وخطوط الإجهاد على جانبى فمه . كان المشى بمثابة كابوس بالنسبة له ، لكنه رفض أن يستسلم وذلك بالتظاهر أن كعبها يؤلمها وقد اقنعته بالتوقف كثيرا ليستريح .

كان الماء يبدو أخضر اللون وغير مشجع وقاما بغليه قبل صبه فى الزمزميات ووضعا فيه أقراص التعقيم كاجراء جيد . ثم أعدا الشاى وتقاسماه .

كانت كايرو دائما فتاة تحب الشامبانيا والكوكتيل لكنها وهى تجلس على الصخرة بجوار ماكس عرفت أنه ما من شراب مذاقة أفضل من الشاى .

ـ تنهدت وقالت : « الجو جميل هنا ، أليس كذلك ؟ »

ـ نظر ماكس إليها وقال : « لم أفكر فى أن أقول لك أن الصحراء جميلة . أظن أنك كرهتيها ؟ »

ـ قالت : « كرهتها . أعتقد أنى أعتدت عليها ولم تعد ترعبنى مثلما فعلت من قبل » .

ـ قال ماكس : « ربما تخرجين بشىء من هذه الرحلة ، عموما . وعليك أن تتعلمى كثيرا عن نفسك خلال بضعة الأيام السابقة ، فالمعرفة الذاتية أكثر نفعا من إيجاد بضعة أماكن لعمل تجارى سخيف » .

كلمات ماكس جعلت المشاكل التى أبعدها عن ذهنها تعود إليه ثانية . ماذا ستفعله حيال ترتيب التصوير لأجل هايدن دين ؟ فهم يتوقعون أن يسمعوا منها فى أى يوم الآن .

بدا ماكس أنه قرأ فكرها . وقال : « لقد حاولت على الأقل . ليست غلطتك وهى أن مدير تنفيذى غبى إختار مكانا غير ممكن الوصول إليه تماما للتصوير » .

ـ تنهدت كايرو وقالت : « لا . أنت محق على طول الخط . لقد كانت فكرة غبية . حتى ولو كان المكان متاحا ، فكيف أحضر فريق المرضة إلى هنا . فالكل يقهقه وينهمك فى القيل والقال . وهذا سيفسد كل شىء . أستطيع أن أفهم الآن السبب فى أنك لم ترد إحضارى إلى هنا معك . إنى آسفه . وما كان يجب أن أفرض نفسى عليك مثل هذا . لابد وأنك ظننت أنى سيئة » .

ـ قال ماكس والضحك باد عليه : « ظننت فى الواقع أنك كنت أسوأ » .

ـ « أسوأ » واختلست كايرو نظره إليه فوجدته مبتسما .

ـ قال : « لقد غيرت رأيى » .

قالت : « أنت تقصد أننى مجرد « سيئة ؟ »

قال : لا أنت أفضل » وأضاف : « أنت أفضل بكثير » .

لم تجرؤ كايرو على النظر إليه ثم قالت : « أنا . . . حسن . . حسن . . سأخبر أصحاب شركة الإعلانات أن التصوير على الهضبة حقيقة أمر غير عملى . وهى لا تبدو جيدة جدا بالنسبة لأعمالنا لو أن أول أعمالنا تحول إلى فشل ذريع » .

ـ قال ماكس : « إقترحى مكانا آخر »

ـ قالت كايرو بصوت عادى : « أين ؟ لم يكن لدى وقت لأطوف الصحراء لأجل موقع آخر وعمل كل الترتيبات » .

ـ « لماذا لا تذهبى إليهم وتخبريهم بالحقيقة ؟ وهو أن الصحراء ليست بالمكان الملائم لهم . فيمكنهم عمل إعلان مؤثر فى إحدى استوديوهات لندن »

ـ قالت كايرو : « أعرف . لكنى لو قلت ذلك فلن يعرضوا علينا أية أعمال أخرى ولن يوصوا بنا عند أى أحد أيضا . وسيظنون أننى لم أكن قادرة على عمل الترتيبات . وتذكرت مدى اعتمادها على إحراز نجاح فى هذا العمل . ووجه والدها يسبح فى ذهنها .

وأضافت : « يجب على العودة بشىء » .

قال : هل هذا العمل هام بالنسبة لك ؟ »

فكرت كايرو فى الوعد الذى قطعته على نفسها أمام والدها . وتذكرت المرأة التى وثقت بها وأقرضتها المال لتبدأ به العمل ، وفى بيير الذى أمرها بالحماس . لم يكن العمل هاما ، ولم ترد العودة إلى لندن لتقاتل من أجل ديون والدها . أرادت الجلوس مع ماكس فى هذه الواحة الهادئة ولا تريد الرحيل إلا أنها لا تستطيع التخلى عنهم .

قالت بهدوء : « نعم . إنه هام » .

قال : « سوف آخذك إلى موقعين عندما نعود إلى المعسكر لو وددت ذلك . سيشكلان ستارة خلفية للمصورين ، ويمكنك الوصول إليهما من مينيسيت دون أية مشاكل » .

قالت : « هل نستطيع ؟ لماذا تفعل ذلك لأجل بعد كل المتاعب التى سببتها؟ »

قال : « أعرف ما المدى الذى ستستغرقينه للحصول على هذا العمل الهزيل . أخشى التفكير فيما سيحدث لو قررت القيام برحلة إلى الصحراء بمفردك . فلو ذهبت معك فلا تسألى عن أى نوع من المشاكل تجدين نفسك فيها . إضافة إلى أننى أجمع بعض العينات من المنطقة . وربما أفعل ذلك فى نفس الوقت » .

إبتهجت كايرو من الفكرة . وقالت : « أشكرك . سأفعل ما ستخبرنى به » .

قال : « سأصدقك عندما أرى » .

وقالت كايرو لنفسها أن هذا ليس معناه أنها تحبه وإنما يعنى أنها معه بمفردها لمدة طويلة .

ـ وما رأيك فى بعض الشاى مرة أخرى ؟ » فقال لها « فكرة طيبة »

هبطا من الصخرة بعد يومين إلى السيارة البيك ـ آب التى كانت بانتظار ماكس فى الظلال . وكانت كايرو تريد أن تقف الوقت لكى تستطيع البقاء على الهضبة مع ماكس بمفردهما . والوصول إلى السيارة بمثابة العودة إلى الواقع .

كان ماكس قد وعدها بأن ترى بعض الأماكن المختلفة . وتعلقت كايرو بهذا

التنبؤ . وهذا معناه أنها لن تقول الوداع بمجرد أن تصل إلى قدم الهضبة .

كان اليومان ونصف اليوم الأخيران هما الأصعب حيث تقلب مزاجه وتكون جواً بينهما جواً متوترا .

وتذكرت تلك الليلة عندما كانت بالقرب منه، تساءلت منه أن الأمر كان يختلف لولا أنها قفزت من جواره لصنع الشاى . هل كان ماكس سيقبلها ؟ وكيف كان رد فعله إزاء استجابتها له ؟ أخبرت كايرو نفسها بأنها مسرورة من أنها لم تسمح لنفسها بفرصة لتكتشف هذا .

كان من المستحيل أن تعرف فيما كان يفكر فيه ماكس . ربما لم يعمل إلى تقبيلها على الإطلاق . مازالت يده بالضماده إلا أنه شفى من الحمى بسرعة ملحوظة وتتساءل إذا كان مرضه هو السبب الوحيد فى التفاهم غير المتوقع والذى ازدهر بصورة مختصرة بينهما . وقد تحسن كعبها كثيرا ، وإن الهبوط من أعلى الهضبة أسوأ من تسلقها . ووزن الحقيبة التى تحملها يهدد بأن يجذبها إلى الأمام واهتزت ركبتيها مع الجهد فى الحفاظ على اتزانها .

قال ماكس : « أظن أنك تستعجلين العودة إلى وطنك ؟ » إقترح ماكس هذه الراحة فى المعسكر لمدة يوم قبل البدء فى طريق الهبوط الطويل . وأضاف : « كلما أسرعنا بالهبوط من على هذه الهضبة كلما كان أفضل » .

وتساءلت كايرو إذا كان هذا يعنى أنه متلهف إلى التخلص منها ؟

بعدما نظر السائق نظرة اندهاش بدا السائق أن يسلم وتحدث بفرح مع ماكس باللغة العربية متعجبا من قصة عضة الثعبان . وتساءلت كايرو عما إذا كان ماكس يخبره بأنها كانت غلطتها أم غير ذلك . جلست بين السائق وماكس تحملق من النافذة وهى تحاول ألا تفكر فى إستناد فخذ ماكس على فخذها أو فى ذراعه المستند على امتداد ظهر المقعد ، حتى إذا مالت برأسها إلى الخلف إستندت عليه . ظل يتحدث إلى السائق طوال المسافة بينما جلست فى صمت بينهما .

عندما وصلوا إلى المعسكر خرجت كايرو من السيارة ووقفت بجوارهما ،

وشعرت بالاستغراب من أنها وجدت المبانى والناس تحيط بها ثانية .

سأل ماكس : « هل ستتركين أشياءك عند بروس ؟ »

هزت كايرو رأسها وقالت : « إنه قال إنه يمكننى استخدام حجرة الضيوف وقتما أريد »

قال : « عليك قضاء الليلة هنا . وإذا أردت رؤية تلك المواقع فإننا سنرحل فى الخامسة من صباح الغد . وإنى متأكد أنك تريدين العودة إلى الحضارة .

قالت : « نعم ، ونظرت كايرو إلى حقيبتها وتذكرت ما قاله ماكس عن تعلمها شيىء من تجربتها مرة أو مرتان بدا فيهما أنه يحبها . والعودة إلى المعسكر كما لو أنها ذكرته بكل الأشياء التى فعلتها وجعلته يكرهها .

أرادت أن تصرخ فيه وتقول إنها قد تغيرت ، وأنها لم تعد تلك الفتاة التى طلبت أن يأخذها إلى الهضبة . فعل ماكس الكثير لأجلها ولم يكن مجرد مرشد بسيط ، وبها هذا الأمر هاما جدا لأن تخبره به . وبدأت : « ماكس ، أنا . . »

نظر إليها وقال : « نعم ؟ »

قالت : « أنا . . . »

لمحها بروس وهتف : « كايرو! ، وذلك بينما يقود سيارته ومر بهما حيث توقف وقفز من السيارة وقال : « يا لها من مفاجأة رائعة ! ، وهبط عليهما قبل أن تقول كايرو كل ما تريد قوله إلى ماكس .

وقال بروس : « فتاة مثلك تستطيع قضاء عدة أيام على الهضبة ولا تزال تبدو جميلة مثلما كانت عند بدء صعودها إليها ! »

وجدت كايرو إطراء بروس أجوف وسخيف ، لكنه كان أكثر من كريم عندما سمح لها باستخدام حجرة الضيوف وسيارته ، فمن الصعب أن تنهره .

ـ « أهلا يا بروس ، إبتسمت ودعته يمسك يديها ويطبع على وجنتيها قبلة . واستطاعت أن ترى ماكس ينظر إليها . ومن الواضح أنه ظن أنها عادت لتكون سطحية مرة ثانية وفكرت فى غضب . ودفعت بروس بعيدا ؟

التقط بروس حقيبتها وأصر على توصيلها إلى غرف الضيوف . كان ماكس يجبرها على حمل حقيبتها وأن تسير بها .

قال ماكس : « سأراك صباح باكر . لا تتأخرى ، وانصرف دون كلمة أخرى .

هل هذا هو كل ما استطاع أن يقوله بعدما كانا معا طوال تلك الفترة ؟ تألمت كايرو وغضبت ولم ترد أن تظهر ذلك . وبدلاً من ذلك استدارت إلى بروس وهى مبتسمة وتركته يساعدها للوصول إلى غرفتها .

نظرت كايرو فى المرآة وكان مظهرها مرعبا ، وجهها ملتهب من حرارة الشمس ومغطى بالتراب والرمل لدرجة أنه من الصعب أن تتعرف على وجهها فى المرآة . بدت متعبة وانخفض وزنها وشعرها مثل القش .

ـ « أفضلك بهذه الحالة ، تذكرت كايرو هذه الكلمات بصوت ماكس .

تخلصت كايرو من هذه الذكريات . ولابد أن تفكر فى إيجاد موقع لها يدن دين ، وتفكر فى العودة إلى الوطن ورؤية والدها وتخبره ببدء دفع ديونه ، تفكر فى أى شيىء غير ماكس وطريقة مشيه واستدارة رأسه وتحسس يديه لجلدها .

شعرت بتحسن بعدما أخذت دشا . وعليها أن تغسل شعرها ثلاث مرات للتخلص من الرمل .

ثم اصطحبها بروس إلى الميز ، وشعرت أنها افتقدت ماكس . هذا سخف ! لم تبتعد عن ماكس سوى ساعتين فقط ، وازداد نبضها عند التفكير فى رؤيته ثانية .

لم يكن هناك .

واستاءت كايرو جدا لدرجة أنها أرادت أن تصرخ . وذكرت نفسها أنها لم تصرخ أبدا لأجل رجل . أبدا ! ولم يلحظ بروس أى شيىء . كان كل ما تستطيع أن تفكر فيه كايرو هو أن ماكس لم يهتم بالحضور وتناول مشروبا معها .

لو جاء إلى البار ستلقى بنفسها بين ذراعيه ، لكنها غضبت من نفسها حيال

هذا الأمر . كيف وهى كايرو كنجسوود تسمح لنفسها بذلك تجاه جيولوجى نكدى ؟ إنه مهتم بصورة كبيرة بصخوره الثمينة أكثر مما يهتم بها !

لن تضيع مزيداً من الوقت فى التفكير فيه . لو لم تعرف أنه فرصتها الجيدة للغاية فى إيجاد موقع فى ذلك الوقت القصير لأخبرته بأنها لا تريد رؤيته ثانية . ستأخذ صورا وترتب المرشدين وتقوم بترتيب التصاريح فى مينيسيت ثم تعود إلى الوطن . قالت كايرو لنفسها أنها لا تستطيع الإنتظار .

تظاهرت بأنها لم تلحظ ماكس عندما ظهر أخيرا . عيناه نظرت تجاهها لكنه لم يبتسم . ذهب وأخذ وجبه بنفسه وذهب أيضا ليجلس فى الجانب الآخر من المكان .

ظغطت كايرو على أسنانها . وتذكرت أنها زحفت لتحمل حقيبته على الصخرة لتعطيه بعض الماء ، وقلقت عليه وهو مريض ، حتى أنها مزقت الفيلوفاكس لتعدله الشاى وهو حتى لا يهتم لأن يأتي ويقول لها أهلا ! وتجاهلها ماكس تماما .

ونظرت كايرو خلسة إلى ماكس كيف حالة وهى جالسة مع بروس تبتسم له . إلا أنه كان غير مهتم بها تماما . تناول وجبته وتبادل بضع كلمات مع الرجال الآخرين الجالسين معه على المنضدة ثم خرج وتحرك كايرو تشعر بأنها محيطة .

نامت كايرو على سريرها الناعم . ولم تتخيل مدى خوفها عندما نامت ليلتها الأولى تحت النجوم . لقد إفتقدت ماكس أكثر مما هى مستعدة الآن تعترف به .

نامت ليلتها بقلق مما جعلها متعبة ، ومن الواضح أن ماكس شعر بنفس الحالة حيث أسرعت إليه فى الصباح التالى وكانت الساعة الخامسة والدقيقة عشرين .

قال ماكس : إلى أين تظنين أنك ذاهبة ؟ حفل فى الحديقة ؟ »

زمت كايرو شفتيها . كانت تأمل فى السيطرة عليه بأنوثتها ، ولكنه لم يبد أى

إشارة حيال ذلك الأمر .

قالت : « ما الخطأ بالنسبه لملبسى ؟ إننا ذاهبون بالسيارة ، أليس كذلك ؟ »

قال مؤكدا : « نحن كذلك . أظن أننا سنذهب بسيارة بيك ـ أب ، وأضاف : « البيك ـ آب ليست سيارتى . واعتدت الذهاب باقى الوقت مستخدما السيارة الجيب .

ـ قالت : « لا سقف لها ! وسوف ألوث ملابسى ووجهى ثانية ! »

ـ قال : « سوف أذهب وارتدى الشورت ، إلا أن ماكس وضع يده عليها قائلا : « آه ، لا . لا تذهبى فأنت متأخرة عشرين دقيقة بالفعل ، ولن أنتظر أطول من هذا » .

قالت : « لكن فستانى سيبيل ! »

ـ قال ماكس : « إن لم تتعلمى ارتداء ملابس معقوله وأنت تصعدين إلى الهضبة ، فهذه مشكلتك إصعدى إلى السيارة » .

ـ قالت : « لا أعرف لماذا أنت مهتم بأبواب السيارة ولا يوجد لها سقف » .

ـ قال : « كفى عن الشكوى . أردت المجىء وما من سيارات متاحة فى هذا الوقت القصير . فأنت محظوظة بأن أخذتك معى . فأنت فى عجلة من أمرك لأن تعودى إلى لندن » .

ـ قالت : « إذا ذهبنا فيما بعد هل سنجد سيارة مكيفة الهواء ؟ »

ـ قال : « لقد غيرت من نغمتك . أليس كذلك ؟ »

ـ تنهدت كايرو قائلة : « يجب أن أعود للوطن . سيكون بيير فى انتظارى و . . »

ـ قاطعها ماكس : بيير ؟ »

ـ رمقته كايرو بنظرة وقالت : « شريكى » وأضافت : « هل تعرفه ؟ »

ـ إنه لا يعرف الكوع من البوع ! وقال : « إنى أعرفه وأعرف كل شىء أيضا عنك » .

وقالت : « أنا ؟ »

ـ قال : علمت أنك بيير تمضيان الوقت معا ؟ »

ـ قالت كايرو وهى مرتبكه : « إنه شريكى ، وطبعا أراه كثيرا » .

ـ قال : « ألا أفترض أنك تهتمين بأنه يحيط بإمرأتين فى نفس الوقت ؟ »

ـ قالت : « ألا تخبرنى أنت عما تتحدث ؟ ، لقد قرفت من هذا !

ـ قال ماكس غاضبا : « جوانا واقعه فى حب بيير ـ أو أنها تظن ذلك . خطاباتها مليئة بالكلام عنه . وحصلت على الطلاق منه ، وهذا البيير يجعلها يائسه » .

ـ قالت كايرو : « لا أصدق أنه أضر بأحد عن عمد » .

ـ قال « هذا ما تقوله جوانا . ومن الواضح أن هناك إمرأة أخرى فى الملعب نشبت مخالبها فيه . إنه مما تجمع لدى فإن هذا البيير يسعى وراء المال ، لكن جوانا تقول إنه حقيقى يحبها ، ولكن المرأة الأخرى هى التى تصمم على امتلاكه . وهى خائفة من أن تفقده » .

شعرت كايرو بالغثيان لأن تسمع عن جوانا ومشاكلها . وقالت : « يبدو لى كما لو أن شقيقتك مخطئة تماما » . مخطئة تقريبا مثلما كانت كايرو مخطئة بشأن ماكس الليلة الماضية ، إلا أن هذا الأمر إنتهى الآن ، وقد ذكرت بسرعة نفسها بذلك . وأضافت : « إذا كانت تحب بيير هكذا ، لماذا لا تجاهد وتقاتل من أجله ؟ »

قال ماكس وهو ينظر إلى كايرو : « جوانا ليست مقاتله مثلك » .

وأضاف : « يمكنها أن تكون لطيفة عندما تحاول ذلك ، لكنها لا تمتلك الثقة بنفسها . لكن أملها فى النجاح ليس كمثل أملك فى هذا » .

حملقت كايرو فيه وقالت : « أنت تظن أن تلك المرأة الأخرى حقيقى هى أنا ، أليس كذلك ؟ »

قال ماكس : « يبدو ذلك واضحا . فإنه طبقا لجوانا فإن بيير يقضى وقتا

كبيرا مع تلك المرأة ، وهى جميلة وفاتنة وواثقة ـ أشياء لا تتسنى لجوانا ، وأنت . ليس ذلك فقط وإنما تحاولين أن ينخرط بيير فى مشروع أعمال غامض تظن جوانا أنه سيدمره » .

قالت كايرو : « جوانا لا تعرف ما تتحدث عنه ، كانت كايرو مأخوذة لحظة حتى أنها لم تستطع عمل شىء سوى أن تفغر فاها تجاه ماكس ، لكنها كانت غاضبة . وأضافت : ربما يكون بيير له علاقة معها رغم أننى لم أسمعه يذكر جوانا ، لكنه من المؤكد لا علاقة له معى !

الفصل السابع

نظر ماكس إليها بتشكك وسألها : « أتنكرى أنك تشتركين معه فى أعمال ؟ »

ـ قالت كايرو : « لا ، لماذا أنكر ؟ ولم أعرف بيير للدخول فى أعمال . وإنها كانت فكرته ولم تكن فكرتى ونحن شركاء فى أعمال محضة ، لذا فإنه يمكنك أن تخبر جوانا بذلك ، أيضا ! »

ـ قال ماكس بعد فترة : « يمكننى أن أفهم السبب فى أن جوانا تشعر بالتهديد من جانبك » .

ـ قالت : « هذا الأمر أكثر مما أستطيع . فأنا لم أقابلها أبدا » .

ـ قال : « لابد وأنها شاهدتك فى مكان ما . أنت لديك كل مظاهر الثقة التى تفتقدها هى ، وثروة كافية لتغرى بيير . علمت أنه لا يملك المال ، وهو رجل من نوع الرجال الذى يبحث عن زوجة ثرية . وهو ليس أفضل من إبنة جيريمى كينجسوود ، هل هو ؟ »

بدأت كايرو تضحك . لو كان يعرف ! فإن ابنة جيريمى كنجسوود لا تملك شيئا سوى الديون والمسئوليات القانونية ، كما يعرف بيير . وقالت أخيرا : « ويمكنك القول إن المال هو الذى ألف بيننا » .

ـ قال ماكس : « أنا سعيد أنك وجدت الأمر مسليا . ولا أجد الأمر مضحكا أن شقيقتى تكون بائسة لأى سبب كان ، ولكننى مستعد لأن أوافق على أنه لا علاقة لك مع بيير إن استطعت قول هذا ، أشاحت كايرو بوجهها عنه . فهو غير محتمل فهو متغطرس ومتعصب ولا يطاق تماما !

فكيف يتسنى لها أن تعتبر أنها واقعة فى الحب معه ؟ فهى تكرهه ! كيف يجرؤ على إتهامها بأن هناك علاقة بينهما وبين بيير لأن شقيقته غبية جدا لأن

تطلب بيسر صراحة ؟

ودت كايرو لو أنها لم تبدأ هذه الرحلة البغيضة ، لم تركب سيارة مثل هذه من قبل . ساروا بعيدا عن المضبة ، وكانت الصحراء مسطحة ولا معالم لها تحت الصحراء الزرقاء الملتهبة .

وكانت تتخيل أنها ستركب سيارة مكيفة الهواء . وقالت لنفسها إنى أكرهه .

سارا لمدة ساعتين قبل أن يشاهد ماكس الشجرة واتجه مباشرة إلى التل البعيد . وظلت كايرو ساكنة ورفضت أن تسأل عن المكان الذى يذهبان إليه ، وعندما اقتربا من التل وجدته كتلة من الصخور السوداء الهائلة .

واستطاعت كايرو أن ترى بالفعل أنه سيكون موقعا مناسبا للتصوير ولكنها شعرت بأنها لا تود إخبار ماكس بذلك وتجعله راضيا . وقد تجاهلته ، وعندما نظرت حولها كان ماكس قد اختفى ليقوم بعمل مسح لصخوره الثمينة . لم يكن هناك شك فى أن الموقع نموذجى .

بدأت تتبرم بعد فترة وتنظر إلى ساعتها . بدأت السماء تتوهج من حرارة الشمس وتصل إلى الصخور كلما مرت الدقائق وما من إشارة تدل على ماكس ، وكانت متأكدة من أنه كان يجعلها تنتظر عن عمد .

ـ عندما ظهر ماكس سألته : « أين كنت ؟ »

ـ قال باختصار : « كنت أعمل . وإنه على عكس ما تعتقدين ، فإن لدى أشياء أخرى لأقوم بها . وإنى آسرى إليك خدمة بأن جعلتك تأتين بينما أنت تطقطقين أصابعك » .

ـ قالت : « لا داعى لأن تكون ذلك الشهيد . فأنت الذى عرضت أن تحضرنى ، هذا لو تذكرت ذلك . وإذا كان هذا سيكون صدمة بالنسبة لك ، فإنه حينئذ يجب أن تغلق فمك » .

ـ قال ماكس : « هل هذا بالكثير أن تغلقى أنت فمك ؟ »

وركبت كايرو السيارة وأغلقت الباب بعنف . حيث قال لها ماكس : « لا

تغلقى الباب بعنف ! »

ـ قالت : « ولما لا ؟ هل تخشى من أن تتفتت السيارة ؟ »

ـ قال : « ليست هناك مشكلة مع الجيب هذه ! »

ـ قالت : « لا ، ما من شيء فالشاسيه جديد والأبواب جديدة والزجاج الأمامى جديد والموتور جديد ، ولا تحتاج إلى أية إصلاحات ! »

ـ قال ماكس « وهو يضغط على أسنانه : إنها تسير سيرا حسناً . وهذا هو المهم . فطبعا أنت من النموذج الذى يهتم أكثر بمظهر الشيء من إهتمامها بما يقوم به هذا الشيء . وهذا الذى ينطبق على الناس ينطبق على السيارات ! »

حاول ماكس تشغيل السيارة فعملت شيئا من الضجة ثم سكتت حيث قالت كايرو : آسفه ، ما رأيك فى ثقتك بالسيارة ؟ »

رمقها بنظرة لها مغزاها وحاول مفتاح التشغيل ثانية إلا أن النتيجة كانت مثل الأولى عندما سكتت السيارة .

ـ قالت : « ما المشكلة ؟ »

ـ قال : « السيارة لا تعمل » .

ـ قالت : « ربما لا أكون أحسن ميكانيكية فى العالم إلا أننى ربما أنجح فى ذلك ! »

ـ إعتدل ماكس وسألها وهو متبرم : « هل تعرفين بداية آلة الإحتراق من نهايتها ؟ »

ـ قالت : « أعرف عملية الكشف عن الزيت » .

ـ قال ساخرا : « هذا سيكون مفيدا جدا »

ـ قالت : « لست بحاجة لأن تتعالى . وإنما أردت أن أعرف ما المشكلة . فلا أريد أن ألزم الصحراء معك ثانية إه »

ـ قال بهرود : « الشعور متبادل تماما . لم أعرف المشكلة بعد . كبداية فإنى لم أدرك حقيقة الأمر ، ولذا فلا أعرف ما الخبر بشأن الآلة ، وحتى لو عرفت فإن

هذا لا يعنيك بشيء »

ـ قالت : « ربما . لست بغبية تماما » .

ـ وسأل ماكس : « لماذا تتصرفين كواحدة ؟ » ثم نزل من السيارة وأغلق الباب بعنف دون لزوم واستدار أمام السيارة .

ـ فصاحت كايرو : « لا تغلق الباب بعنف ! » فحملق فيها ماكس .

وتساءلت . لماذا ماكس بغيض ؟ وسمحت لنفسها أن تتذكر الرجل الذى عرفته على الهضبة . كان قد ربت شعرها عندما بكت ، وضمها بين ذراعية ليبعد عنها خوف الليل . فتذكرت كل وقت ابتسم فيه إليها ، وكل مرة لمسها فيها . لم تحبه على الإطلاق فى الحقيقة إلا أنها إعتمدت عليه ، ولن تعتمد عليه أطول من هذا . وفكرت كايرو فى أن تتجاهله .

ركزت كايرو على تجاهل ماكس لبضع دقائق ، ولكنها نزلت من السيارة ، ذهبت لتنظر إلى محركها .

ـ قالت : « حسن ؟ »

رمقها بنظرة كراهية وقال : « إذا كان هذا يهمك فى أى شيء ، فإن الكاربراتير به عطل » .

ـ قالت : « هل ستستطيع إصلاحه ؟ » ونظرت كما لو أنها تعرف ما هو الكاربراتير .

ـ قال : « ربما ـ سأقوم بخلع الكارابراتير » .

ـ قالت : هل استطيع عمل شيء ؟ »

ـ تنهد ماكس وقال : « إن الشيء النافع للغاية أنك تجلسين وتسكتين . فلا أستطيع التركيز وأنت واقفة هكذا » .

ـ قالت : « إنى أحاول أن أساعد » .

ـ قال : « حسن ، المساعدة هى أن تبتعدى عن طريقى ولا تطرحى أسئلة غبية ثانية ! »

وعادت كايرو إلى السيارة وجلست فى مقعدها . فلأدعه يفعل كل ذلك بنفسه ! مرت الدقائق والحرارة تزداد والسكون يخيم وذبابة تطن حول وجه كايرو مما جعلها تتساءل ماذا تفعل هذه الذبابة بمفردها فى هذه المنطقة وأبعدتها ، فلا يوجد شيء سوى الصخور والسماء والرمل .

ثم عادت الذبابة وحطت على ذراعها وأبعدتها ثانية . لماذا لا تذهب وتطن حول ماكس ؟

أخرجت كايرو مجلة من حقيبتها لتقرأها لتنسى العرق الذى تصبب من ظهرها وكم كان ماكس رهيبا .

راودتها صورة الصخرة ، وجلوسها مع ماكس عند البركة ، وهما يشربان الشاى ، يستمعان إلى النحل ، ورغبتها فى الجلوس هناك على الدوام . ثم حملقت كايرو فى المجلة دون تركيز ، كانت الذكرى باقية وحاولت إبعادها عن ذهنها .

كانت كايرو مسرورة لأنها حضرت مع ماكس اليوم ، قالت لنفسها ، وعادت لفكرة أنها ربما منجذبة تجاهه لكنها ذكرت نفسها بأولوياتها . فهى ستدفع ديون والدها ثم تبقى فى المدينة حيث تنتمى إليها ، ولن تعطى ماكس أو الصحراء الكثير من تفكيرها .

إنغمست كايرو فى قراءة المجلة لدرجة أنها لم تعد تعى بماكس وجاء حولها وهو يحملق فيها وتكلم وسألها : « هل أنت مرتاحة تماما ؟ » وكان سؤاله ينم عن السخرية ، وكان على خده بقعة زيت .

ـ قالت : « نعم ، شكرا ، كانت كايرو مركزة على مجموعة أزياء الشتاء . كانت قد اعتادت السفر إلى باريس وميلانو لرؤية التصميمات الجديدة ، ما أطول المدة قبل أن تستطيع شراء ملابس جديدة لنفسها ؟ ثم وضعت المجلة على ركبتيها . « ألم تنتهى بعد ؟ »

ـ قال : « لا ، لم أفرغ من التصليح بعد . درجة الحرارة هنا مائة وعشرون

درجة ـ وأكثر تحت غطاء محرك السيارة ـ وكان على أن أنزع الكاربراتير تماما . إذا كنت تظنى أنك تستطيعين فكة بسرعة بمهاراتك الميكانيكية فمرحبا بك لتأتى وتحاولى » .

ـ قالت : « أنا متأكدة من أنك ستسرع بقدر ما تستطيع » .

ـ قال : « لقد كفانى منك ومن تدليلك وموقفك الأنانى ! أنت لا تدركين كم أنت محظوظة بأن تشاهدى صحراء كهذه . آه ، لا فأنت ضيقه الأفق حيث تجلسين وتتصفحين مجلة مليئة بالخداع والمظهرية وهذا يعنى الكثير لك . ولطالما وصلت إلى ما تريدين ، أفلا يهمك شيء آخر ؟ » وأضاف قائلا : « أول الأمر جعلتينى آخذك معى إلى الهضبة مما منعنى ذلك من القيام بأى عمل هناك ، والآن عندما آخذك لأن تحصلى على مواقع التصوير الثمينة بالنسبة لك فإنك تجلسين بأعصاب هادئة تقرأين المجلة وتسألينى عما إذا كنت فرغت من إصلاح الكاربراتير أم لا ! »

قالت : « إنك أنت الذى أردتنى أن أبعد عن طريقك . لم أدرك أن ذلك هو الذى أردته منى أن أكون بجوارك ممسكة بمنديل أمسح به حواجبك وأخبرك كم أنت هائل لأنك تحب هذا المكان ! لماذا أنا أقدر وأفهم الصحراء ؟ إنها حارة وغير مريحة وتبعث على الملل ، وألازم واحدا فى منتصفها أشبه بلورانى العرب يتحامل على لندن ، ومن يجرؤ ليقول لى ضيقة الأفق ! »

ـ قال ماكس مهدئا : « سوف تمكثين هنا أطول مما توقعت إن لم تضعى المجلة جانبك الآن وتساعدينني » .

ـ قالت : « آه يا الهى ! » ووضعت المجلة وأضافت : « ماذا تريدنى أن أفعله ؟ »

ـ قال : « إبدئى هنا الأول بتشغيل المفتاح . وإن لم يكن هذا يضايقك . قامت كايرو بإدارة مفتاح تشغيل السيارة بناء على أمر ماكس . وتم تشغيل السيارة وعادت الحياة فيها ثانية وهلل ماكس من تحت غطاء الموتور . .

قال : « إطفئى السيارة . واحضرى إلى هنا ! »

قالت : « نعم ، يا سيدى . ماذا الآن ؟ »

قال : « إمسكى بهذه الأشياء بينما أقوم بتثبيت المساجد ، ثم أضاف قائلا : « ما رأيك لو رحلت وتركتك هنا ؟ »

قالت : « لن تجرؤ على هذا ! »

قال : « إن الطريقة التى أشعر بها الآن هى قتل له مبرره وربما تكون خدمة جليلة للمجتمع بوجه عام ! »

ثم صعدا إلى السيارة وقالت كايرو : « لا أعرف لماذا أنت غير مرح . لقد أخبرتك بأنه لاصلة لى بمشاكل شقيقتك البائسة » .

قال : « يبدو الأمر مضحكا أن حياة جوانا تنقلب رأساً على عقب ثانية بسبب امرأة جميلة متحجرة القلب ولها عمل مع بيير . . . ولكنها ليست أنت ، على ما يبدو . أخبرينى ، كم عدد الجميلات متحجرات القلب التى لها عمل مع بيير ؟

قالت : « ليست لدى علاقة مع بيير . ولن تكون علاقة بينى وبينه أبدا ، . . ولن تكون هناك علاقة أبدا . نحن شركاء عمل وأصدقاء ، وهذا كل ما فى الأمر . لماذا لا تصدقنى ؟ »

قال : « لا تقولى لى أن رجلا مثل هذا يبعد يديه عن فتاة مثلك ! »

قالت : « أنظر الآن ما فعلته ! لا تستطيع التقدم » .

قال : « هائل ! هذه غلطتك » .

قالت : « غلطتى . كيف تكون غلطتى ؟ وأنا لم أكن أقود السيارة » .

قال : « لو لم تجادلى لكنت قادرا على التركيز على ماكنت أفعله » .

قالت : « من كنت تلومه على كل مشاكلك قبلما أظهر فى حياتك » .

قال : « لم يكن لدى مشاكل حتى قابلتك ! »

لم تتقدم السيارة الجيب لأن الشاسيه كان مدفونا فى الرمال . وأخذ ماكس

يلعن السيارة ويركل الإطار .

قالت كايرو ساخرة : « هذا سيفيد » .

قال وهو يعطيها معولا : « احضرى » ، وأضاف : « إن لم تسرعى فى معدل حفرك ستظل هنا طول اليوم » .

قالت : « اسكت ! » وضاعفت جهدها . ثم قالت له « لماذا لم تتوقف بمجرد أنك شعرت أنك تقود السيارة فى الرمال ؟ »

قال : « واصلى الحفر ! » وبعدما انتهى من حفر الجانب الآخر وتحول إلى الجانب الذى تحفر فيه الرمال ليساعدها . وأخيرا أضاف : « الآن أستطيع أن أقودها » وتجاهلته كايرو .

واستطرد : « سوف تتبعينى سيرا على قدميك ، ولكن تأكدى أنى سألتقط الحاجيات ولن أتركها خلفى » .

قالت : « ولماذا لا تسير أنت ؟ .

قال : « لأنك غير خبيرة فى قيادة السيارة فى الصحراء . وربما تعوقى تقدمنا ثانية » . وأضاف : إن لم تكفى عن الصخب ، فلن أنتظرك على الإطلاق » .

قالت : « أنت فعلت هذا عن عمد ؟ »

قال : « ماذا ؟ »

قالت : « كان يمكنك أن تتوقف على بعد ميل على الأقل قبل أن يحدث هذا» .

قال : « لم أكن متأكدا من الرمل . وأنت تبدين فى درجة حرارة عالية ، يا كايرو . هل تودين شرابا ؟ »

انتزعت كايرو زمزمية الماء إلا أنه عندما تلامست أصابعها شعرت بصدمة كهربائية كادت أن تسقط الزمزمية من يدها . شعر ماكس أيضا بتلك الصدمة حيث أنها رأت ذلك فى عينيه قبل أن يستدير ، واهتزت يده وهو يستعيد الزمزمية . كانت كايرو تشعر بتلك اللمسة وهما فى السيارة عبر الرمال . لمسة

واحدة وإنها أنعشت تلك الذكريات التى حاولت جاهدة أن تنساها طوال اليوم : يديه على جلدها ، مذاق فمه ، دفء ونعومة كتفيه القويين تحت أصابعها .

اختلست كايرو نظرة إليه ، وكان فمه يعلوه خط الغضب ويداه ممسكتان بعجلة القيادة بإحكام . ماذا سيكون عليه بعد ذلك ؟ حيث تساءلت بحنق . ثم تساءلت كايرو عما سيفعل لو مالت برأسها وقبلت زاوية فمه . ارتعشت شفتاها من هذا التفكير وقالت لنفسها توقفى عن هذا ، وأبعدت عينيها .

كان صوت المحرك يتم سماعه على مسافة أميال ، شعرت كايرو أن الصمت يكتنفها ، وماكس مليئا بالعداء والتوتر . وعندما تغلق عينيها ترى صورة فم ماكس وعندما تفتحها ثانية لتحملق فى الأفق الفارغ فإن ذكرى لمسته تحرق تفكيرها .

إتجه ماكس ناحية ما ظهر كجدار صلب لصخرة ترتفع فى الصحراء . وهذا الجدار أعطى كايرو شيئا لتنظر إليه وشيئا آخرا لتفكر فيه .

وقالت : إلى أين سنذهب ؟

قال : « وهناك بركة . وسنقضى الليل بجوار الماء ، وكانت البركة عميقة وصافية والخضرة ضاربة بين الصخور وتبدو كما لو كانت شيئا غير حقيقى .

كانت هناك شجرتان سنط قريبتان . وعندما نظرت كاير إلى البركة استطاعت أن ترى قاعها .

قام ماكس بتفريغ الحاجيات من السيارة وتجاهلها . كايرو كذلك أحضرت المجلة وأخذت تفكر فى حنق . وانها بعد الطريقة التى عاملها بها طوال اليوم لن تجلس طول الليل وتنتظر أن يلحظها !

أخرجت كايرو من حقيبتها فراش النوم وأعدته بعيدا عن فراش ماكس بقدر ما تستطيع . وقالت لماكس : سيسرك أن تعرف أننى أحضرت حقيبة نومى هذه المرة .

قال : « ظننت أنه ما من حقيبة لديك » .

قالت : « قلت لبروس أن يعيرنى حقيبته » .

قال بغضب : « إنى مندهش أنك لم تطلبى منه الحضور معنا ويقاسمك الفراش » .

ردت كايرو وعيناها يتطاير منهما الشرر : « ماذا تقصد بهذا ؟ »

قال : « حكمت بذلك من مداعبة كل منكما للآخر ، الليلة الماضية .

قالت : « من المفترض أن أكون ممتنه أنك لاحظت أننى هناك . لكننى متأكدة من عدم المداعبة ، ولم يداعبنى بروس أيضا » .

قال : « كان ذلك يبدو كمداعبة . ولم أشاهد ذلك المشهد الذى يقزز النفس » .

قالت : « إنك تظن أى واحد يتصرف بمدنية كاشمتزاز ، وكانت كايرو غاضبة لدرجة أنها لم تلاحظ أنها تفرغ حاجيات غير ضرورية من حقيبتها .

قال : « هل تسمى هذا تحضر ؟ لم تكن المدنية ما فعلتيه ! كتسبيلة عينيك وتوددك لبروس . المسكين لم يعرف ما حدث له ، وأضاف : « بالطبع ربما عرفت أنك تحتاجين شيئا . فكل هذا المجهود لمجرد أن تحصلى على حقيبة نوم منه . . أم كان شيئاً آخراً ؟ »

قالت : « لم يكن هناك أى شىء أطلبه ! لقد استمتعت بصحبة بروس أكثر من استمتاعى بصحبتك » .

قال : « لم يكن لدى ذلك الانطباع عندما كنت تنامين بجوارى . أو كان ذلك تصرفك بصورة متحضرة ؟ »

قالت : « لم أضيع وقتى بأن أكون متحضرة بالنسبة لك ! لم أقابل أى واحد متغطرس جدا وغير مراع لشعور الآخرين . ويجب أن يتم فحص رأسك ! »

قال : « آه ، نعم ؟ إن الشىء الوحيد الذى تحتاجه رأسى لأن يتم فحصها هو شىء لا علاقة له بك ! »

قالت : « أنزلنى من على الصخرة » .

قال : « طبعا ، فأنت لا تطيقين أن ألمسك ؟ »

وسقطت كايرو فى البركة مما صنع صوت طرطشة الماء وبدد سكون الصحراء . وقالت : « أنت . . . أنت . . . إنى أكرهك ! » وصرخت فى النهاية كطفلة .

قال : « حسن ، والأمر هذا متبادل بيننا ، وأخذها ماكس حيث انحنى إلى الأمام وكانت عينا كايرو تشع خضرة وقد جذبته بشدة مما جعله يفقد توازنه ويسقط هو الآخر فى البركة بجوارها .

الفصل الثامن

ـ قال ماكس فى غضب : « لماذا ، أيتها ـ الصغيرة ! » وحاول الوصول إليها .

أوضحت قائلة : « أنت فعلتها فى أول الأمر » . والتصق فستانها بجسدها مما أظهر معالم صدرها ، وحاولت حتى تقلل من الكشف عن صدرها لكن محاولتها ذهبت عبثا . وكان قميصه الكاكى مبللا لدرجة أنه التصق بجسده كما لو كان جلده الثانى . ثم حملق كل منهما فى الآخر وفجأة بدءا يضحكان ، وخف التوتر بينهما وأخذا يضحكان .

ـ وقال : « أنت بدون شك امرأة تغيظ للغاية ، لم أقابل مثلك فى حياتى » ثم أخذا يلعبان فى الماء . وكانت كايرو لديها الآن استعداداً لذلك .

ثم وقفا إلى جوار بعض يبتسم كل منهما للآخر . ولكنه لسبب ما تغير الجو وخفتت الإبتسامات ببطء وسادت لحظة صمت .

شعرت كايرو بقطرات الماء تجرى بين ثدييها . كانت الشمس حرارتها عالية بعد الظهر وأدفأت ظهرها وكان الماء باردا على جلدها . لم يكن غيرهما فى الصحراء الرحبة يحملق كل منهما فى الآخر ، إلى أن جاء ماكس إليها .

أمسك ماكس بوجهها بين يديه وراحتى يديه على خديها حيث أمكن لها أن تشعر بقوته وبدأت ترتجف ، ولكنها لم تقم بأى خطوة للوراء للابتعاد عنه . كل ما فعلته هو النظر فى عينيه حيث عينيها بهما رغبة لم تستطع إنكارها . فهل تخطو خطوة نحوه أم أنه سيجذبها إليه بين ذراعيه ؟ ولأنها ترتعش من الرغبة وجدت نفسها بين ذراعى ماكس وهى تستجيب لقبلاته الجائعة فى تهور .

والتفت يداها حوله وذابت على جسده القوى المثير . مازال ماكس ممسكا بوجهها بين أصابعه كما لو كان يخشى أن تبتعد عنه ، لكن شفتيها كانتا دافئتين

ومتحمستين تحت شفتيه ، وانزلقت يداه إلى أن وصلت إلى ظهرها ليجعلها أكثر قربا منه .

كانت ملابسها مبللة مما جعلها أقرب إلى كونها بدون ملابس . استطاعت كايرو أن تشعر بحرارة وطلب جسمه وقامت بانتزاع قميصه من البنطلون حتى تستطيع يداها الإنزلاق بسهولة على ظهره الناعم القوى لدرجة أن عضلاته تلوت تحت أصابعها النهمة إليه ،

قال ماكس : « كايرو » ، ثم أخذا يتنفسان لحظة ، وعاد يلهبها بالقبل وأضاف : كيف فعلتِ هذا بى ؟ ، واستجابت له كايرو وهى ترتجف .

قالت : « فعلت ماذا ؟ » وهى مبتهجة وشفتاه تنزلق على عنقها وقد ألهب جلدها بحرارة المشاعر .

قال : « منذ لحظة كنت أريد الإجهاز عليك ، و . . . »

قالت : « نعم ؟ حيث همست ووضعت ذراعيها حول عنقه وقالت ثانية : « نعم ؟ وهى تقبله فى زاوية فمه ، هزت كايرو رأسها : « أفضل بكثير » وابتسمت إليه كما ابتسم إليها .

لم تره يبتسم هكذا من قبل و ليس بذلك الدفء فى عينيه وبوجهه المضىء ، وأدركت ما يعنيه هذا بالنسبة لها .

أحبك ، أرادت أن تقولها . لكنها ترددت ، لم ترد أن تفسد اللحظة هذه بالشكوك أو التوقعات . يكفى للآن أنه ابتسم إليها تلك الإبتسامة .

قال : « أنا آسف لأنى كنت وحشيا معك اليوم » .

قالت : « كنت خنزيرا . وأنا متأكدة من أننى استحققت هذا » .

ضحك ماكس وقبلها ، وقال : « أنت فعلا تستحقين هذا . وهيا لنسبح مرة ثانية » .

قالت : « أود أن أذهب إلى الطرف العميق هذه المرة » . وذهبا إلى البركة وجعلها تسبح بين ذراعيه وبدا كما لو أنه سيلقى بها إلى الأعماق عموما . فقالت :

« لا تفعل ذلك ! » وتشبثت به وظهرت كما لو أنها تهدده .

قال : « أطلبى ذلك بصورة لطيفة ! »

قالت : « أرجوك لا تفعل ، هذا وهى تداهنه وأحكمت ذراعيها حول عنقه وقبلت أذنه ثم خده ثم زاوية فمه . ثم استدار لتلقى شفاهما وأنزلها بعد ذلك لتضع أقدامها على الشاطىء . وقال : « يجب أن تطلبى منى ذلك بلطف أكثر من قبل ! »

قالت : لم أكن أدرى أن ذلك سيكون له أدنى تأثير . لقد كنت فى حالة مزاجية قذرة وما من شىء سوى القائى فى ماء متجمد ليجعلك راضيا » .

ضحكت كايرو وأضافت : « كنت معترضة لأنك كنت معترضا » .

قال : « كنت معترضا لأنك كنت حانقة » .

كان الماء باردا ومنعشا ، ثم سحبت إلى الجانب الآخر من البركة ، ثم عادت ثانية إلى ماكس .

وسألته : هل أنا حقيقى كنت حانقة ؟ من المؤكد أننى لم أكن بذلك السوء؟»

قال : « نعم » وضحك ماكس ، وجذبها ثم قبلها ، وقبلها ثانية .

ثم أشعلا نارا من الأغصان الجافة وقاما بشواء اللحم الذى أحضره ماكس معه . كانت كايرو تشعر بسعادة عندما يلمسها ماكس بطريق الصدفة .

لم لا تقول له ، أحبك ؟ كان لدى ماكس الكثير من الفرص ليقول هو ذلك، لكنه كان يرغبها ، وهى تعرف ذلك ،لكن الرغبة ليست كالحب ، ولا يبدو ماكس يغير حياته من أجل إمرأة . مهما كان يريدها . وإن لم يتغير فلا يعطى وعودا كاذبة أيضا .

هى أرادته ، نعم وأكثر مما ظنت ، لكنها تحبه وتحتاج إليه أيضا .

كيف لو وقعت فى حب ماكس دون أمل ؟ إنه الرجل الوحيد الذى تحبه هذا الحب .

تذكرت كايرو وهى تقرأ المجلة بينما ماكس كان يصلح الجيب ، وكيف

أقنعت نفسها بأنها مشتاقة للذهاب إلى الوطن . كيف يكون الوطن بدون ماكس؟

تناولت طعامها وهى ترقب الملايين من النجوم فى السماء لدرجة أنها شعرت بدوخة من طول النظر إلى النجوم . كان المكان هادئا فلا صوت سيارات أو ناس . لم يكن هناك سوى ماكس بجوارها .

لن تكون قادرة على تحمل المدينة بعد هذا ، فكرت كايرو فى هذا ، ثم عادت وفكرت فى أنها لابد وأن تتحمل هذا . فلا تستطيع التخلى عن كل شىء وتبقى هنا مع ماكس حتى إذا فكرت فى أنه يريدها . فمازال هناك والدها الذى تفكر فيه .

كايرو لا تريد أن تفكر بما سيفكر فيه ماكس لو عرف حقيقة والدها . هى تعرف شعوره تجاه الفساد ولسوف يستاء لو اكتشف السبب الحقيقى فى أنها تستكمل عمل والدها . إنها لا تريد رؤية الاحتقار فى عينى ماكس تجاه والدها الذى سيعتبره مذنبا وفاسدا . إن والدها فعل كل شىء لأجلها ، ولا تستطيع التخلى عنه الآن ، ولا حتى من أجل ماكس . أمسك ماكس بذراعها وسألها : « أنت هادئة جدا . فيما تفكرين ؟ »

ترددت كايرو لحظة متسائلة لو أنها يجب أن تخبره عموما ، والليلة مناسبة جدا . يجب أن تفكره فى باكر والليلة ، والآن كاف .

بدلا من أن تفكر فى فتح قلبها له ، وأخذت تدور داخل دائرة ذراعه وركعت وهمست : « كنت أفكر فى أننى لن أحتاج إلى حقيبة نوم بروس على وجه العموم» .

ابتسم ماكس وقال : « هكذا لن تحتاجى إليها ، ثم جذبها إليه ليناما على فراش النوم .

رقدت كايرو عليه لتسمع تنفسه وعندما تأكدت من أنه غط فى النوم ضغطت بشفتيها على كتفه وهمست قائلة : « إنى أحبك » .

ثم مشت وهى تشعر بيديه القويتين على منحدرات جسمها ، وكانت

الشمس مختفية خلف الأجراف الصخرية ناحية الشرق إلا أن الجو يغمره ضوء الفجر .

وتظاهر قائلا : كنت أظن أنك لن تستيقظى » . ثم أخذ يقبلها فى عنقها .

تمددت كايرو ثانية وابتسمت وهى نعسانة ، ثم طوقته بيديها وقالت : « أنا مستيقظة الآن » .

قال : « الوقت متأخر » . وانزلقت يده على امتداد فخذها ثم اتجهت إلى ردفها وصعدت لتتحسس ثديها ، وأضاف قائلا : « ينبغى أن ننهض » .

قالت : «أينبغى علينا ؟ » وأصابعها تحولت إلى جسده .

قال : « نعم »

قالت : « الآن فعلا ؟ » وتركت يديها تقومان بسحرهما على جسمه وحركت جسمها تحته تدعوه إليها .

قال ماكس ثانية : « نعم ، وأفسد التأثير بأن طرحها على الفراش . ثم أضاف : « حسن ، ربما ليس الآن ، ثم قبلها » .

واقترح قائلا : « دعينا نمكث يوما آخرا » ولم تكن كايرو مستعدة لذلك الاقتراح .

البقاء يوم آخر . يوماً آخر مع ماكس . هذا سيخالف جدول أعمالها . فإن بيير وهايدن دين يتوقعانها تعود باكراً ، وهذا الأمر سوف يستغرق منها عدة أيام لتحصل على التصاريح من المسئولين فى مينيسيت وعمل كل الترتيبات بشأن الإقامة والانتقال .

قالت : « لا أستطيع ، ويجب أن أعود » .

قال : « لماذا ؟ هل تبرمت بالفعل ؟ »

قالت : « لا ! ، واعتدلت كايرو . وأضافت : « لا ، يا ماكس ، ليس هكذا . أنت تعرف ذلك ، ويجب أن أنهى هذا العمل » .

قال : « لتنسى العمل » ثم ارتدى البنطلون الذى جف ، وأضاف : « لقد

شاهدت بالتأكيد ما يكفى من الصحراء لأن تعرفى أن هذا ليس بالمكان لأجل إعلان فى عجلة وسرعان ما يتم نسيانه ؟ » ثم استطرد : « سوف نبقى هنا اليوم ويمكنك إرسال تلكس من المعسكر باكراً تخبرينهم بأنك لم تستطيعى إيجاد أى مكان مناسب » .

قالت كايرو فى يأس : « ماكس ، لا أستطيع . فهناك ناس يعتمدون على ،

قال : « مثل بيير على سبيل المثال ؟ »

قالت : « نعم ، بيير من بين الآخرين » .

قالت : « وماذا عن الرجل الذى يستغفل النساء لأجله ؟ »

قال : « أنا لا أجعل من نفسى غبية . وتوقف عن لوم بيير أو لومى بالنسبة لمشاكل شقيقتك . فأنا لا أعرف الموقف بينهما ، لكن بيير كان صديقى دائما . صديقاً وليس حبيبا . إنه بيير الذى أعطانى الفرصة للقيام بعمل عندما لم يقدم أحد آخر عملا لى » .

قال : « إنه بيير أيضا الذى أرسلك إلى الصحراء وأنت غير مستعدة ولو كان عنده أى إحساس باللياقة لكان هو الذى جاء بنفسه . إنه يستغلك يا كايرو مثلما يستغل أى امرأة يقابلها بالمصادفة » .

قالت وهى ترتدى فستانها : « ماذا تعرف عن هذا الأمر ؟ » وأضافت : «إنك حتى لا تعرف بيير . وحتى لو كان يستغلنى وهو مالا يفعله فإنى أقول إننى سأقوم بهذا العمل ولن أرجع فى كلامى ! »

قال : « لا أصدق أن هذا العمل الشهير يعنى الكثير لك ، أكثر مما لدينا هنا » .

قالت : « لا يعنى » .

قال : « حينئذ اثبتى ذلك بالبقاء يوم آخر . واثبتى ذلك أيضا بعدم التصوير هنا » .

قالت : « ماكس ، لا أستطيع » .

قال : « لم لا ؟ »

قالت : لا أستطيع الشرح فهو لن يفهم سلسلة الذنب والولاء والحب التى تربطها بوالدها ، ولن يفهم مدى ما يعنى عندما عرض عليها بيير طريقة لعمل مال بعد شهور الرفض .

قال : أنت لست فى حاجة للشرح . أستطيع أن أفهم بنفسى . فأنت لا تستطيعين انتظار العودة إلى ما يسمى بالمدينة ، هل تستطيعين ؟ فيمكنك عمل مكياجك يوميا . وتقضين يومك تفحصين الفيلوفاكس وتمضين لياليك فى الحفلات وتقومين بالمحادثات ذات الجدوى والعقيمة منها مع الناس . ويمكنك اخبارهم برحلتك إلى الصحراء . وهذا ما سيجعلهم يضحكون !

قالت : « آه ، ما الهدف من هذا ؟ إنك لا تصغى على أية حال . فأنت متعصب لعدم فهم أى شيء سوى وجهة نظرك ! فلو سألتنى فإنك تتحدث عن والدتك . ليس هذا الخطأ خطأى لأنها تركتك ! أنت تظن كل واحدة مثلها ، لكنهن لسن كذلك ، ولست أنا أيضا كذلك ! إنك أنت الذى لديه مشكلة . ربما يدهشك أن تعرف أن المدن مليئة بالناس الطيبين الذين لديهم كياسة ونجحوا فى التأقلم مع الحياة دون أن يتأوا بأنفسهم فى الصحراء » .

قال : « حسن ، من الأفضل أن تعودى إلى هناك إذا كان هذا رائعا بالنسبة لك » .

ثم عادا مباشرة إلى المعسكر فى صمت رهيب . كان وجه ماكس متجهما وكايرو غاضبة وتساءلت هل يريدها أن تتخلى عن أى شيء لقضاء يوم زيادة معه؟

كان كل شيء حسن الليلة الماضية ، كيف تحولت بسرعة جدا إلى شيء سيء . إنها أحبته كثيراً جدا . وجسمها يتحرق شوقا لأن تلمسه وتريد أن تجلس ممسكة بيديه معا . فلو مكثت يوما آخر لن يجعل الأمر مختلفا .

إذا كانت قد وافقت على البقاء ما كانا قد عادا وهما صامتان ذلك الصمت

الرهيب . لم تستطع الكف عن تخيل ما كانا يفعلانه لو كانت قالت نعم . ولكانا قد وجدا ظلا بين الصخور وتجاذبا أطراف الحديث وتلامسا وعندما تنتهى حرارة اليوم يذهبان إلى البركة للسباحة فى مياهها الباردة ويقومان بالمضاجعة مرة أخرى عندما تغرب الشمس .

كان كل ما عليها أن تقول إنها ستبقى يوما آخرا .

همس قلبها قائلا يوما آخر . وما كان هناك فرق ؟ وسيكون الأمر شاقا عندما تقول الوداع . عندما وصلا إلى المعسكر توقف ماكس عند مبانى الضيوف ولم يطفىء السيارة وقال : يمكنك إنزال حاجياتك من خلف السيارة . لأننى سأستمر فى المسير .

ـ قالت : « إلى أين أنت ذاهب ؟ »

ـ قال : « ما من مكان يهمك » .

وأنزلت حاجياتها من السيارة وقالت : أظن أنك ستذهب إلى بعض صخورك الثمينة ؟ قال : إنها أفضل من صحبتك ، فقالت : « إنها ترحب بك . إنى سأعود إلى العالم الحقيقى ! »

وقال : « سيرحب بك وترحبين به » ثم قاد السيارة وترك كايرو تسعل من التراب المتناثر من وراء السيارة وعيناها تدمعان من ذرات الرمل .

الفصل التاسع

ابتهج بيير عندما جعلته يرى الصور . وقال بيير : « هذا بالضبط ما أراده ، تلك الصخور على الرمال ستكون ستارة خلفية للتصوير » .

نظرت كايرو إلى الصورة وكانت هناك صخرة جلست فوقها تنتظر ماكس يظهر ثانية . وتخيلته بوضوح وتوقعت أن يخرج من الصورة ، ثم أغلقت عينيها فى ألم مفاجىء لو استطاعت فقط أن تنسى ! كل التفاصيل فى اليوم الذى التقطت فيه الصور طبع فى ذاكرتها : المحادثات مع ماكس ، الحفر لاخراج الجيب ، الماء البارد وهو يلقى بها فى البركة ، ووضع ماكس وهو يضحك ، ويديه التى تزيح الفستان من على كتفيها . . .

قالت : « هل تظن أن هايدن دين سيعرف أنها ليست الهضبة الحقيقية ؟ »

قال : « هذا يبدو أنه موقع كبير عثرت عليه وسوف يتأثرون من مقدرتك فى عمل الترتيبات مقدما . لقد أديت عملا كبيرا ، يا كايرو . أخبرتك أنه عمل سهل ! »

تذكرت كايرو التسلق الذى استغرق وقتا للوصول إلى أعلى الهضبة ، ووجه ماكس عندما أمسك بيده التى عضها الثعبان ، ولكنها لم تقل شيئا . فلم يكن هناك ما تقوله .

علق بيير : « أنت لا تبدين عادية كما كنت ، هل أنت بخير ؟ »

قالت : « أنا بخير ، إننى مجرد متعبة قليلا ، وهذا كل ما فى الأمر » .

لم تتذكرت بضعة الأيام القليلة الماضية فى مينيسيت حيث كانت تتحرك كثيرا بطريقة آليه حيث زارت المسئولين ، والتعامل مع الرسميين ، وحجز الأماكن

بالفندق ، وتدبير ثلاث سيارات بسائقيهم لأخذ المجموعة كلها إلى الموقع .

قال بيير : « حينئذ أنت على ما يرام لرؤية هايدن دين بعد ظهر اليوم ؟ » ، وأضاف : « إنهم فى انتظار عودتك . إنهم يريدون دفع كل شىء بسرعة بقدر الإمكان . ولهذا لا يمكنك البقاء مدة أطول » .

ثم تذكرت كايرو ذلك الصباح عند البركة عندما طلب ماكس منها البقاء يوم آخر . توجهت كايرو نحو النافذة ونظرت إلى الشوارع المزدحمة بالناس ممسكين بمظلاتهم لتقيهم مطر الربيع وحركة المرور . هذا هو الوطن قبل أن تذهب إلى شوفرار إلا أنها اشتاقت الآن إلى السماوات الرجبة وأفق الصحراء الخالى من كل شىء .

استدارت كايرو لتواجه بيير مرة أخرى ، وقالت : بيير ، هل تعرف فتاة تدعى جوانا »

قال بيير ووجهه مضىء : « جوانا هدنجستون ؟ هل تعرفينها ؟ »

قالت كايرو : « ليس هذا بالضبط . قابلت شقيقها فى شوفرار » .

قال بيير : لابد وأنه ماكس الشهير ، على ما أظن جوانا تبجله ، ولكنه لا يهم كثيرا بالنسبة لى .

علمت أنه قام بتربيتها بعدما انفصل والديها ، وهو الذى تطلب منه النصيحة ، وإننى أتساءل لماذا ترك كل شىء هنا ليذهب للعمل فى الصحراء . إنه يأتى إلى الوطن أحيانا لزيارة جوانا . من الواضح أنه غريب بعض الشىء » .

قالت : « إنه ليس غريبا ! إنه أعقل رجل عرفته » .

قال بيير : « أتمنى لو أن جوانا لم تكن تحت تأثيره تماماً . فهو لا ينفعها على الاطلاق بذهابه إلى شوفرار ، وهى جعلتنى الآن أرعاها » .

قالت كايرو : « لم أسمعك أبدا تذكر جوانا من قبل ! أظن أنك تحب نمطهم ثم تتركهم ؟ »

قال : « لم يعد ذلك الأمر قائما الآن . حاولنا أن يكون ما بيننا سرا لكننى

سأتزوج جوانا ونستقر باكر لو استطعت . لم أقابل واحدة مثلها من قبل . إنها حلوة ولطيفة . وهى مختلفة جدا عن الفتيات الأخريات اللاتى إعتدت الخروج معهن . كن مثلك يستطعن السهر على أنفسهن، لكن جوانا ليست مثل ذلك . فهى من نوع الفتاة التى تريدين حمايتها .

وسألته كايرو : « إذا كنت تشعر بذلك فلماذا لا تتزوجها ؟ »

قال بيير : « جوانا تم طلاقها العام الماضى . فلا أريد أن أدفعها إلى أى شىء . فكل واحد يفترض أننى تزوجتها لأجل مالها مثلما فعل زوجها السابق المتوحش ، وأضاف : « هذا أحد الأسباب التى من أجلها كنت متلهفا على جعل هذا العمل ينجح . أريد أن أثبت لجوانا أنها يمكنها أن تثق بى وأن لست مجرد خاسر يحصل على مال منها ، واستطرد بيير : « إذا وافق هايدن دين على الموقع الجديد الذى اخترته بعد ظهر اليوم ، فإننا نكون سائرين فى طريقنا ، ولم أخبر جوانا عن عملنا المشترك بعد . أردت الانتظار حتى أتأكد من أنه سينجح» .

فكرت كايرو فى أن بيير لابد وأنه أخبر جوانا ما فيه الكفاية لتكون متشككة فلماذا لم تقم جوانا بإخبار بيير عن شكوكها بدلاً من أن تكتب إلى ماكس ؟ وتساءلت كايرو لو أن جوانا استخدمت عقلها لوفرت الكثير من المتاعب على الغير ! كانت كايرو فى حالة عصبية وهى تنتظر لمقابلة اثنين من شركاء هايدن دين ولكن بيير قد تنبأ بأنهم مسرورون من الصور وسوف يقرون بإن الهضبة لن تكون مكانا مناسبا عموما .

حتى أنهم كانوا متأثرين من الترتيبات التى قامت بها كايرو ، وطلبوا منها السفر ثانية مع المجموعة للتأكد من أن كل شىء يسير كما هو مخطط له .

وقالوا : « نود السفر بأسرع ما يمكن . فالعملاء سوف يستخدمون ياسمين لأنها المتاحة لبضعة أيام فى مدة أسبوعين . هل يمكنك تأكيد كل الترتيبات ؟ »

هزت كايرو رأسها بالإيجاب . وغاص قلبها لنبأ ذهابها إلى أحد الموديلات

الكبار فى لندن للتعامل معها . ياسمين معروفة جدا لدرجة أنها لا تستخدم إسما آخرا وتتمتع بسمعة أنها شديدة المراس . خافت كايرو من التفكير فى كيفية رد فعلها من الأحوال فى الصحراء .

كان بيير فرحا وهم يرحلون بالتنبؤ بأنه سيتم دفع أجرهم أخيرا . إن الشركاء قد نوهوا أيضا إلى أعمال أخرى مباشرة ، وتفجر بالحماس .

قال بيير : « نحن على الطريق يا كايرو ، ثم حضنها وقال : « لاأستطيع الانتظار لأخبر جوانا ! أشكرك ، لقد قمنا بأول عمل فى جعبتنا . ما من شىء سوف يمنعنا ، انتظرى ، ثم شاهدى .

انتهت متاعبنا ! »

متاعبه هو ربما انتهت ، فكرت كايرو فى هذا ، لكن متابعها بدأت لتوها . عليها أن تتعلم أن تعيش بدون ماكس . ظنت أنها بعودتها إلى المدينة ستطرح ماكس من وراء ظهرها لكن الاختلافات هى التى أكدت مدى افتقادها له . فقدت كل شىء فيه حتى ابتسامته قبل أن يقبلها .

حاولت كايرو أن تبدو متحمسة حيال تنبؤات العمل عندما زارت والدها . إن أجرها عن أول عمل سيمكنها من دفع الدين . وإن ما تكسبه يمكن أن يسدد باقى ديون والدها ، وقال : إن هذا سيستغرق بعض الوقت ، لكن الأمور لو سارت كما يظن بيير فلسوف نسدد فى وقت قليل من هذا العام كل الديون » .

نظر إليها والدها وقطب جبينه لأنه شاهد التعاسة تطل من عينيها الخضراوتين الواسعتين .

وقال بهدوء : « أنت تبدين متعبة . السنة الماضية لم تكن سنة سهلة ، أليس كذلك ؟ أنا آسف يا عزيزتى ، لم أكن أحب أن تقلقى هكذا . أريدك أن تتخلى عن فكرة تسديد الديون . الآن قمنا ببيع كل شىء ولم يبق هناك الكثير . وسأبدأ الأمر بشكل ما » .

قالت كايرو : « لقد قمت برعايتى طوال تلك السنوات ، يا والدى . الآن

جاء دورى لأعتنى بك ،

وأضافت : « أنا محظوظة لأحصل على ذلك العمل الممتع . ليس كل أحد يذهب إلى الصحراء كجزء من عمله ! »

قال : « ماذا كان يشبه ذلك ؟

قالت : كانت الدنيا حر جدا . حر وخاوية . وكثير من الصخور والرمال » .

نظر إليها والدها وهو مرعوب وقال : « مسكينة يا كايرو ! فتاة المدينة ! لابد وأنك قد كرهتيها ! »

قالت : « أنا لم أكرهها ، وإنما أحببتها » .

لم تكن كايرو تعرف كم عدد الأشخاص الضروريين لالتقاط صور بسيطة . وقد تأكدت من ذلك عندما أرسلت شركة هايدن دين قائمة نهائية بالأشخاص وكانت تأمل فى أن يكون هناك غرف متاحة عندما يذهبون إلى هناك . إن هذا ليس موسم سائحين على الأقل .

كانت مشتاقة لرؤية الصحراء ثانية ، لكنها كانت فزعة من أخذ ناس آخرين إلى هناك ليشاركوها ذكرياتها . إنهم بالضبط من النوع الذى يحتقره ماكس ، خاصة وأن محادثاتهم تزداد مثلا بكلمة « حبيبتى » وتنويهات مبالغ فيها .

الموديل ياسمين كانت طويلة وتميل للسمرة ، وفمها واسع لونه أحمر وعيناها بنية . وقد تعرفت كايرو عليها فورا حيث شاهدتها فى بضع حفلات لكنها غير مستعدة للكراهية التى تشعر بها عندما قابلتها فى النهاية .

كانت ياسمين نجمة ومتأكدة من أنها معروفة عند كل واحد . أى شيء عليه علامتها التجارية يتم بيعه إلا أنها سيئة الطباع ، وهايدن دين تعرف ذلك وأنها تكلف كثيرا عندما تقوم بالتصوير . وصرحت ياسمين بأنها تكره كايرو مثلما كايرو تكرهها ، وما كان على كايرو إلا أن تتذكر ديون الدها .

اضطربت معدة كايرو عندما لامست عجلات الطائرة أرض مينيسيت .

عادت إلى البلد الذى فيه ماكس . عرفت أن فرصة رؤيته بعيدة إلا أن عينيها بحثت فى الشوارع عن السيارة الجيب المألوفة . ماذا ستفعل لو شاهدته ؟ ماذا يمكنها أن تقول ؟ قالت ياسمين ثائرة : « إنى معتادة على فنادق الخمس نجوم . ولم يخبرنى عميل بأنى سأتحمل الصراصير فى غرف النوم ! ولا يوجد حمام فى غرفتى ! »

تذكرت كايرو أن ياسمين تصرفت مثلما فعلت عندما جاءت أول مرة إلى مينيسيت ، وكان ذلك قبل أن تقابل ماكس ، وقبل أن تعرف أن هناك أشياء مهمة بدرجة أكبر لتعتنى بها . وقالت : « هناك عدد من الدش فى نهاية كل دهليز . أنا آسفه لأنك لم تتعودى على ذلك إلا أن هذا هو أحسن فندق فى مينيسيت . وهذا لمدة ليلتين فقط » .

عندما أسكتتهم جميعا ذهبت إلى غرفتها وأغلقت الغرفة وراءها . ثم اتجهت إلى النافذة تنظر منها . وإلى متى ستعيش مع هذه الحاجة إلى رؤيته ؟ كان السكون مخيفا إلا أن صوت المؤذن من الميكروفون يعلن عن الصلاة أعاد الحياة بعد الصمت حيث الأصوات ارتفعت عندما تجاذب الناس أطراف الحديث ، وهناك كلب ينبح ، وتم استئناف الحياة الطبيعية .

انهمرت الدموع من عينى كايرو . كيف الحياة الطبيعية تبدأ ثانية بالنسبة لها بينما كل ما تريده هو الرجل الذى يعيش بمفرده فى الصحراء ، رجل له عيون هادئة ولمسه تجعل قلبها يسرع من دقاته ؟

كانت هناك فوضى فى الصباح التالى عندما جاءت السيارات ، وكان من الواضح أن السيارتين اللتين طلبتهما غير كافيتين ووقفت المجموعة تشتكى من غرفهم بينما تتحدث كايرو مع السائقين عن إمكانية الحصول على سيارة ثالثة .

وقالت ياسمين : « هل هذا سيستغرق طول الصباح ، كنت أظن أن هذا قد تم ترتيبه مقدما ؟ »

أوضحت كايرو : « لقد تمت بالترتيبات قبلما يتم إضافة أربعة أشخاص

على القائمة الأصلية » .

قالت ياسمين : « لو كنت تعرفين أى شىء عن الأعمال لكنت خمنت أن الأعداد تتغير . وأنا لا أقف بينما توضحين الأمر فإنى ذاهبة للتمشية » .

قامت كايرو بعد الأشخاص حتى رقم عشرة ثم عادت إلى السائقين ، وقالت إنه فعلا هناك حاجة إلى سيارة ثالثة ، ذلك عندما ظهرت ياسمين ثانية ، وكان ظهر كايرو فى اتجاه ياسمين مما جعلها لا تراها حتى نظر إليها السائقين نظرة إعجاب فالتفتت كايرو نحوها .

كان ماكس واقفا هناك مع ياسمين الممكسة بذراعه .

شعرت كايرو وكأن مطرقة سددت إليها ضربة ، بدا قلبها وكأنه توقف ، إنه كما هو فى مظهره . وهو بنفس الهدوء وتبدو عليه سيماء القوة . لم تستطع كايرو إزاحة عينيها عنه وتصارعت العواطف داخلها .

وقالت ياسمين لكايرو من مسافة : « كل على ما يرام يا عزيزتى . يمكنك الكف عن الضجر بشأن سيارة أخرى . لقد وجدت فارسا شهماً ينقذنا من ورطتنا » وأضافت : « لقد قابلت ماكس هنا فى السوق وأخبرته عن الوقت الذى نضيعه ، وكان لطيفا منه أن يأخذنا فى سيارته » .

وبدأت كايرو تقول : « لا حاجة إلى ذلك فى الحقيقة » .

قال ماكس : « ليست هناك مشكلة » . وابتسم مباشرة إلى ياسمين ثم إلى كايرو . جعلها تتذكر . وأضاف : « حقيقة ، سيكون هذا من دواعى سرورى » .

تساءلت كايرو بين نفسها كيف يجرؤ على هذا ؟ كيف يقف أمامها يهتم بياسمين هكذا ؟ وزحفت الغيرة عليها حيث كان من الصعب عليها أن تتكلم .

وسألتها ياسمين : « ماذا تعنى بأنه ما من حاجة إلى ذلك ؟ لن أنحشر فى سيارتين مع الأشخاص الآخرين ! حيث أنك لم تكونى قادرة على عمل ترتيبات مناسبة فلم يكن لدينا خيار سوى أن نوافق على العرض الطيب من ماكس » .

قالت كايرو : « لقد أعددت ترتيبات العربة الثالثة ، لذا سيكون هناك مكان

لكل واحد . فلا حاجة لأن نزعج مستر فالكونر » .

اقترح ماكس قائلا : « دعينى أنقلك على أية حال ، يا ياسمين ، وهذا سيعطى الآخرين مكانا كما سيعطينى السرور عند مصاحبتك . أنا أعرف الطريق » .

قالت ياسمين : « هذا سيكون شيئا لطيفا ، لما لا نذهب ونتناول القهوة بينما كايرو تقوم بإعداد كل شىء ؟ »

وذهبا إلى الفندق حيث تركا كايرو فى ثورة عارمة . محبطة والغيرة تقتلها ! حيث أن كايرو لم تتحمل ذلك فقد انتظرت فى حرارة الجو فى الخارج حتى أن وصلت السيارة الثالثة ، ثم دخلت الفندق وأحضرت كل واحد من المجموعة .

وأعلنت كايرو : « أظن أننا جاهزون للذهاب » .

قالت ياسمين : « سنكون جاهزين بأسرع ما يمكننا . قال ماكس إن سيارته الجيب غير ملائمة لى ولذلك سوف يستعير سيارة مكيفة الهواء » .

قالت كايرو : « كم هذا مؤثر »

قال ماكس : لا أحب التفكير فى أن ياسمين يغطيها التراب من الذهاب إلى المكان . حملقت كايرو فيه وقالت إنه من الأفضل بالنسبة لها أن تشعر بالحرارة والقذارة وهى فى الجيب المدغدغة !

قالت إلى ياسمين : « آمل أن تكونى جيدة فى الحفر ، حيث أنه له عادة سيئة فى القيادة فى الرمال الناعمة » .

قالت ياسمين : « يبدو ماكس أنه من النوع الذى يمكنه التعامل مع الأشياء بنفسه » .

قال ماكس : « ولم أحلم بأن أطلب من ياسمين أن تلمس معولا . فلا تقلقى بشأن نجمتك . فسوف أعتنى بها » .

قالت كايرو : « حسن ، لا تتأخرا . فقد تم صرف مبلغ من المال فى يوم واحد تصوير ، ولا يمكننا عمل شىء حتى تصل ياسمين إلى هناك » . ولأن

كايرو غير قادرة على رؤيتها معا أطول من هذا استدارت وسارت قبل أن يكون لدى ياسمين فرصة التحدث إليها . كان على المجموعة الانتظار فى الموقع لمدة أربعين دقيقة حتى وصل ماكس وياسمين فى النهاية وكل منهم غاضب من الانتظار . ودخلت إحدى الخيام التى أعدتها كايرو وذلك لعمل المكياج .

كانت كايرو ثائرة من أن ماكس استعار سيارة رينج روفر جديدة لينقل ياسمين ، رجعت كايرو إلى صخرة وجلست فوقها . وجدها ماكس هناك بينما ياسمين تتخذ أوضاعا فوق التلال الرملية وبين الصخور .

قال ماكس : « آمل أن تكونى مسرورة من هذه المهزلة التى أقمتيها ، أرى أنك تفضلين الصحراء بهؤلاء الناس وهم يعملون كما لو أن العالم يبدأ وينتهى على شريط سينمائى ؟

قالت كايرو : « ليس كما تتصور ، يبدو أن ياسمين قامت بغزوك ! وأنا مندهشة لك » . نظر إليها ماكس دون أن يبتسم وقال : لا « ليس هذا هو نوعى على الإطلاق » .

قالت كايرو : « من الواضح أنه ليس هذا هو النوع الذى أنت منه ! فلم يستغرق الأمر وقتا لأن توقعك ، أليس كذلك ؟ عموما ، أنت تذهب وتقع فى غرام امرأة مثل ياسمين . فأنت أحمق مثل كل الآخرين وأنت مشغول بشعورك بأنك متفوق فى هذا . إن الأمر لمحزن لدرجة أنى ضحكت ! »

قال ماكس : « من قال إنى وقعت فى غرام ياسمين ؟ »

قالت كايرو : « إنك أوضحت ذلك بنفسك . ورددت كايرو كلمات ياسمين . . « لقد وجدت فارسا شهما . ماكس قرر أن الجيب ليست جيدة بالنسبة لى » وأنت مهدت لذلك .

قالت ماكس : « ما قلت هذا ، وأضاف : « إنها فتاة جميلة جدا ، إنك لست بغيورة ، هل أنت غيورة يا كايرو ؟ »

قفزت كايرو قائلة : « غيورة ؟ » وأطلقت ضحكة . وأضافت : ياسمين

ليست مهتمة بك . إنها تهتم فقط بنفسها . إنها من النوع الذى دائما يكون له رجل يساعدها ولا يهم من هو . إنها التقطتك لأنها ظنت أنك باستطاعتك أن تفعل شيئا لأجلها . وعندما شاهدتنى أنى ... ، « أنى واقعة فى غرامك » .

قال ماكس : « أنك ماذا ؟ »

قالت كايرو خجلة : « إنى أعرفك . لا تفرح جدا بنفسك . إنك مهتم بقدر إهتمام ياسمين ، وإنها لن تنظر إليك طالما تنظر إلى إمرأة أخرى » . وأضافت : « إنها فى الحقيقة تبدو غير مسرورة الآن . ومن الأفضل أن تجرى وتلهث تحت قدميها . سوف تريدك حيث تستطيع رؤيتك ولا أريد أن أكون مسئولة عن إفساد علاقة جميلة ! »

قامت كايرو وهى فخورة بنفسها وذهبت إلى الخيام . ولكنها لم تستطع مقاومة النظر لرؤية مكان ماكس . لم تكن هناك علامة على وجوده بجوار ياسمين .

واتجهت ناحية الصخور لتجعلهم يجلسون خلفها . كانت تنتظر ظهور ماكس . ثم ظهر وتقدم إليها وهتف قائلا : « كايرو ؟ » وبدأ قلبها يسرع من ضرباته وإذ بصوت ياسمين يقول من ورائها : « كنت أبحث عنكما فى كل مكان ! ألم تسمعانى أنادى عليكما ؟ »

قالت كايرو : « لا »

قالت ياسمين : « لابد وأنك صماء وغير كفؤ أيضا! لقد انتهينا من التصوير الآن . فمن الأفضل ترتيب الأشياء حتى يمكننا الرحيل بأسرع ما يمكن . أنت هنا للقيام بعمل ، وإذا أردت أن يتم الدفع لابد وأن تكونى أكثر كفاءة مما أنت عليا الآن . لقد حجزت فى أسوأ فندق رأيته وأضعت وقتا كثيرا هذا الصباح لأنك لم تقومى بإعداد الانتقال . ولو لا ماكس لضغطت على أى أحد آخر » .

قالت كايرو : « لا أعتقد أن هذا سيقتلك » .

قالت ياسمين : « لدى نفوذ فى شركة هايدن دين وإن لم تكونى حريصة

سأخبرهم بأنك غير متعاونة وإذا اعترضت فلن يعطونك مزيداً من العمل . وأعرف أنك غير الناس ، لا تستطيعين ترك العمل . ولو أنا منك يا كايرو فإنى أعمل أى شىء للحفاظ على عملى . إنك باسم كنجسوود فإنه من الصعب أن تجدى الثقة هذه الأيام » .

سارت كايرو وكانت مهتزة . ياسمين من الواضح تعرف كل شىء عنها وعن والدها وستجد المتعة فى أن تتأكد من أن ماكس يعرف أيضا . فكانت كايرو باسة . تلهفت لأن تخبر ياسمين بالضبط عما تظنه حيالها إلا أن كلمات الموديل لا تقل عن الحقيقة ولذلك فعليها أن تفعل بالضبط مثلما قالت ياسمين .

عادوا إلى مينيسيت وكانوا يشعرون بالحرارة والتعب واشتكوا طول الطريق من الموقع .

قال المصور : « ربما لا نرى ياسمين حتى صباح باكر . أنت تعرفين ما تبدو عليه عندما تنشب مخالبها فى رجل . وإذا تأخرت عن الطائرة فاحضرى بها معك يا كايرو » .

كانت كايرو تعتزم العودة بعد ظهر اليوم التالى حتى يتاح لها الوقت لتسديد الفواتير وتتأكد من أنها قدمت الشكر لكل واحد ساعد فى هذا العمل . ولا تظن أنها تستطيع تحمل الجلوس بجوار ياسمين خاصة وأنها لا تعرف ما إذا كانت أمضت الليلة مع ماكس أم لا .

كان قلبها يدق بثقل حتى توقفت السيارة رينج ـ روفر خارج الفندق ورأت ياسمين تنزل من السيارة وتذهب ناحية النافذة حيث يجلس ماكس على عجلة القيادة . وعرفت على الأقل أن ياسمين لم تمض الليلة مع ماكس . وعندما دخلت ياسمين وشاهدت كايرو قالت لها : « أخبرت ماكس عن فضيحة والدك ، وقد بدا أنه بهت تماما . وكنت مندهشة لأنه لم يسمع بهذا » .

وقالت كايرو : « لا » .

وقالت ياسمين : « أظن أنه اندهش لأنك لم تخبريه عن والدك ، وما من

داعى الآن تخفى فضيحة كهذه يا كايرو . فهى تظهر فى كل الأوقات » .

قالت كايرو : « ستكون باقية طالما أن هناك ناساً موجودين » .

قالت ياسمين : « لم أكن أعرف ماذا أفعل لو لم يكن موجودا اليوم ! وأرى أنه من الواجب أن تشكريه باكر ولو أنه قال إنه سيذهب إلى مكان ما ، فلا داعى للبحث عنه ، فقالت كايرو : لابد وأنك شكرتيه بما فيه الكفاية » .

وكانت رسالة ماكس واضحة تماما . فهو لا يريد أن يراها ثانية . وليس لديها الآن الفرصة حتى لتقول له الوداع .

الفصل العاشر

رقدت كايرو على السرير تحملق فى سقف الحجرة . عندما انفجرت الفضيحة فى أول الأمر حول والدها صدمت وكانت مستاءة وما كان لديها شعور بالبؤس مثل هذا الآن . كانت غير سعيدة عندما تركت مينيسيت آخر مرة أيضا إلا أنها كانت تعرف أنها ستعود مرة ثانية ولديها أمل خفى أنها سترى ماكس ثانية . الآن ، ليس لديها هذا الأمل ، فقد ذهب ذلك الأمل دون حتى كلمة الوداع .

إنه من دواعى راحتها أن تضع المجموعة على الطائرة صباح اليوم التالى وتقف تبتسم . إن جمال ياسمين يذكرها باستمرار بآخر مرة شاهدت فيها ماكس . وتعليقات الموديل عن العمل المستقبل فى ذهنها ، حاولت كايرو التظاهر بالمرح والكفاءة حتى أنها أرشدت كل واحد إلى رسميات المطار لكن الجهد تركها تشعر بأنها استنزفت . أدركت أنها ستعتاد على ذلك .

هناك فى مينيسيت ، دفعت أجر السائقين وأضافت لهم بقشيشا ، حيث ظنت ذلك كايرو . الشكاوى المستمرة من مصاحبيها من الصحراء قد أحرجها . وكرهت أن تفكر فى ذلك كانت كذلك . لا عجب فى أن ماكس كرهها .

أمضت الصباح فى محاولة أن تكون دبلوماسية وشاكرة لكل واحد مسئول يمكن أن تلقى به فى مكتبه ، ولماذا تشكرهم وقد قامت بالترتيبات من خلال إجراءات بيروقراطية معقدة قبل أن يقوموا بختم التصاريح أو يقولوا لها أنها فى المكتب الخطأ وأنها لم تكن متأكدة من ذلك .

ياسمين الوحيدة التى لم تخف رأيها فى التسهيلات وكانت كايرو متواضعة حيال ذوق المجموعة وذلك فى مواجهة مثل تلك الحماقة . نجحت فى المحافظة على الابتسامة خلال الكلمة الطويلة للمدير بشأن التقدير ولكنها هربت لحمل

حقيبتها إلى ميدان السوق حيث تنتظر التاكسيات تحت ظل الأشجار .

تقدمت بعد ظهر ذلك اليوم وكان يرقبها السائقون وهى تقترب من التاكسيات . وضعت حقيبتها على الأرض وانحنت تكلم السائق من النافذة وتحدثت بالفرنسية إلا أن السائق لم يفهمها لدرجة أنها أشارت إشارات تنم عن صوت أزيز الطائرة .

سمعت صوت ماكس يقول : « يبدو أن لديك صعوبة ما » .

حملقت كايرو فيه لدرجة أنها لاحظت الاستمتاع فى عينيه وأدركت أن ذراعيها مازالتا تقلدان الطائرة . ثم أنزلتهما بسرعة وجاهدت أن تسيطر على قلبها الذى يدق بعنف بين ضلوعها .

وقالت : « ظننت أنك ذهبت » .

قال : « هل فعلا ظننت أننى ذهبت ؟ »

قالت : « أعرف أنني ظننت ذلك . لا تقلق فإن ياسمين تركت رسالتك بوضوح . لقد ذهبت لمكان ولا تريدنى أن أضايقك . ولم يكن لدى نيه القيام بمحاولة العثور عليك ! »

سألها ماكس : هل أخبرتك ياسمين بأنى طلبت منها إعطاءك تلك الرسالة؟

قالت : « ياله من أمر مضحك ؟ لا . ولكنها كانت واضحة » .

قال : « فهمت ، ونظر إلى حقيبتها وأضاف : «يبدو كما لو أنك راحلة » .

قالت : « إنى أحاول ذلك . فطائرتى رحلت منذ ساعة ونصف ويجب الوصول إلى المطار إلا أن السائقين لا يريدون الفهم » .

سألها : هل تريدينني أن أحدثهم نيابة عنك ؟

استاءت كايرو من ذلك لأنها كانت مشتاقة لرؤيته مرة أخرى وتريد الرحيل ، وخائفة من أن تستسلم وتلقى بنفسها تحت قدميه . فهى لا تريد أن يظن ماكس أنها كذلك .

فقالت : « أشكرك » .

وتحدث ماكس معهم بالعربية وضحك السائقون ، وتشككت كايرو من ذلك حيث لم يستغرق الأمر طويلا ليخبر أحد السائقين أن يأخذها إلى المطار ؟ واستدار تجاهها وقال ماكس : « هذا لا يستطيع الذهاب لأنه منتظر ابن عمه ، والثانى يريد أن يأكل فى نصف ساعة ، وإذا ذهب إلى المطار سيتأخر فى العودة » .

قالت : « عظيم ، ألم تر أنهم سيكونون ممتنين لبعض العمل ، هل تظن ذلك ؟ كيف يتسنى لى الوصول إلى المطار ، ما رأيك ؟ »

قال ماكس : « سوف آخذك إن لم تمانعى . فإننى ذاهب إلى ذلك الطريق على أية حال » .

رفضت كايرو وقالت : « أشكرك لقد فعلت ما فيه الكفاية لأجل هايدن دين أمس ، أنا متأكدة من أننى سأجد طريقة ما لتوصلنى إلى المطار » .

إن الشك فى أنه كان يضحك عليها أكبر من أن تتحمله ، ثم استدارت لتمشى بسرعه قبل أن يرى مدى ما لحقها من إساءة . لم ينفطر قلبه من التنبؤ بأنه لن يراها ثانية وتمسكت بكبريائها وسارت فى الشارع المتلىء بالظل . وكان كل ما لديها هو الكبرياء .

تجولت كايرو حول السوق وفى الشوارع المجاورة ، وقد اختفت التاكسيات ، وسوف لا تلحق بالطائرة بهذه الطريقة . وحينئذ نظرت إلى ساعتها بقلق .

وإذ توقفت السيارة الرينج روفر بجوارها ، وقال ماكس : « ربما من الأفضل ركوب السيارة » وفتح لها الباب .

نظرت كايرو فى الشارع لعل تاكسيا يظهر فجأة ، لكنه ما من شىء سوى حمار يهز أذنيه فى الظل وامرأتين مرتديتين ملابس سوداء تتجاذبان أطراف الحديث وتتجهان من ناحية السوق . لم يكن أمام كايرو أى اختيار . صعدت السيارة وجلست معتدلة كما لو كان ماكس صمم على أن يجعل الأمر صعبا بالنسبة لها ،

ليجذبها إلى وجوده والمرح فى عينيه . ووضعت يديها مع بعضهما فى حجرها . كل ما تريده الآن هو عودتها إلى الوطن .

وسألته كايرو : ما الخبر بشأن سيارتك الجيب ؟ »

قال ماكس : « الجيب بخير » .

قالت : « حينئذ لماذا استعرت هذه السيارة مرة ثانية ؟ أم أن ياسمين أعطتك طعم الترف ؟ »

قال : « لم أستعر السيارة ، وإنما هى سيارتى » .

قالت : « سيارتك ؟ » وحملقت كايرو فيه وأضافت : « هل تعنى أن تقول إنك أخذتنى فى تلك السيارة الجيب وجعلت الرمال تغطينى فى حين أنه كان يمكننا ركوب هذه السيارة ؟ »

قال : « أخشى أن أقول هذا » .

قالت : « هذه فقط تناسب تماما ياسمين ! »

قال : « أنت فهمت ، ياسمين ليست مثلك » .

قالت : « افترض أنه تم منحى شرف ركوب السيارة مثل ياسمين . أم هذا لأنك متلهف لأن تتأكد أنني فعلا مغادرة ؟ »

قال : « هل أنت تريدين حقيقة الرحيل ؟ »

قالت : « لا أستطيع الانتظار ! »

قال : « يا للعار ، أخشى أنه يجب عليك الانتظار ! »

قالت كايرو : « ماذا أنت بفاعل ؟ سوف تتركنى الطائرة ! »

قال ماكس : « أنت لن تلحقى بها » .

قالت : « ليس هذا بمزاح يا ماكس . خذنى إلى المطار على الفور ! »

قال ماكس : « لماذا ؟ »

قالت : « لماذا ! لأننى أريد اللحاق بالطائرة ، طبعا ! »

قال : « حسن ، أريد أن أتحدث إليك . إذا أردت اللحاق بطائرة باكر

سأخذك إلى المطار وسأشترى لك تذكرة جديدة ، أهذا إنصاف ، أليس كذلك؟»

قالت : « لكن يا ماكس ، هذا جنون ! إلى أين أنت ذاهب ؟ »

قال : « إلى البركة . هل تتذكرين البركة ، أليس كذلك يا كايرو ؟ »

قالت : « لا أرى سببا لأن تخطفنى . كانت لديك الفرصة أمس لأن تتحدث معى إذا كنت أردت ذلك » .

قال : « لم استطع التحدث إليك مع ذلك الجمع من الناس حولنا » .

قالت : « لم أكن أظن أنك تفكر فى أن ياسمين من الجمع المروع . حقيقة إنك أعطيت انطباعا بأنك مسلوب العقل ! »

قال : « هل أنا يجب أن أكون ممثلا أفضل مما أظن »؟

قالت : وهى تردد وتستوعب « ممثل ؟ »

قال : « إن ياسمين وأمثالها لا يخدعننى » .

قالت : « ولكن . . لا أفهم . لماذا تتحمل كل ذلك التظاهر ؟ »

قال : « لأجعلك تغيرين طبعا ، أظن أن ذلك كان واضحا » .

قالت : « لا ، لم يكن واضحا » .

قال : « لقد افتقدتك عندما غادرت . وقلت لنفسى أننى مسرور لذهابك ، وأنك لا تنتمين إلى هنا وأن بيير كان يرحب بك ، لكننى لازلت أفتقدك . الصحراء تبدو فارغة بدونك » .

لم تتحدث كايرو ، وجلست تراقب منظر وجهه الجانبى .

واستمر ماكس يقول : « بالطبع ، أنت التى أوضحت جدا أن عملك كان أكثر أهمية لك من الاهتمام بى . كنت آمل فى أنك بدأت تحبين الصحراء ، وكنت أشعر بالمرارة لأنك لم تستطيعى الانتظار للعودة إلى لندن بعد تلك الليلة التى قضيتها معى عند البركة . كنت أحمق لأظن أنك قد تغيرت . عندما تركتك عند المعسكر أردت أن أنساك ، لكننى لم أستطع . أخذت أدور تحسبا لرؤيتك .

كنت أريد أن أسمع صوتك وأراك تبتسمين . كنت أريد أن ألمسك . و

كنت أريد رؤيتك تتجولين بحقيبة مكياجك ! »

قالت : « لا أصدق أنك فقدت كل ذلك ! »

قال : « طبعا ، افتقدت ذلك ، أحيانا استسلم . كنت أعرف أنك ستعودين مع التصوير وكنت أعرف أن الممثلين فى مينيسيت من السهل عليهم اكتشاف موعد عودتك . ظللت أجول حول المدينة أملا فى رؤيتك . إننى بمجرد رؤيتى ياسمين الممثلين عرفت أنها لابد جزء من مجموعتك ، لذا ربطت نفسى بها ، كما ارتبطت بكل واحد لأجد الفرصة للتحدث إليك » .

قالت : « لكن لماذا فعلت كل هذه الضجة مع ياسمين ؟ لابد وأنك تعرف ما أفكر فيه ! »

قال : « تبادر ذلك لذهنى فقط عندما شاهدت النظرة تعلو وجهك عندما رأيتنا معا » .

وابتسم ماكس نصف ابتسامة وأضاف وجها معبرًا : إن لديك وجه جدا يا كايرو ولك نظرة قاتله . لم تكونى غيورة لو لم أكن أعنى شيئا بالنسبة لك ولذا علقت ياسمين ـ قليلا وينجاح ! وما كانت تتركنى وحيدا .

أضاف : « وإنى فى النهاية أخبرتها بأن لدى عملا هاما يجب القيام به ولا أستطيع البقاء فى مينيسيت لأراها تلك الليلة . إن الرسالة التى ظننت أنى أرسلها إليك كانت الطريقة الوحيدة التى اعتقدت أنه يمكننى التخلص بها منها ! وأخبرتنى أنك ستبقين لرحلة أخرى ، لذلك قررت حتى يسافر كل واحد منهم» .

قالت : « هل هى أخبرتك أيضا عن والدى ؟ »

قال : « نعم . ولماذا لم تخبرينى أنت ؟ »

قالت : « أنا أعرف شعورك عن الفساد ، كانت كايرو تجد من الصعب دائما الحديث عن الخزى الذى تشعر به عندما اكتشفت أول ما كان يقوم به والدها » .

وأضافت : « والدى مذنب والآن هو يعانى من النتائج ، ولا أظن أنك تكن له أى تعاطف معه . فهو بالنسبة لك مثال نموذجى لخداع المدينة أما

بالنسبة لى فإنى لازلت أحبه وهو والد كريم كما كان دائما »

قال : « ياسمين قالت أنك تعملين لدفع ديونه . هل هذا هو السبب فى أنك متهورة جدا لجعل هذا العمل ناجحا ؟ »

قالت كايرو وهى تهز رأسها : « لن أتخلى عن والدى . إن ما فعلته كان بسبب الاستمرار فى تدليلى ولذلك أشعر بالمسئولية . وكنت دائما تقول لى إنى مدللة ، ولو عرفت ما فعله فإنك ستحتقرنى بصورة أكبر » .

اقترب ماكس منها ولمس شعرها برقة وقال : « لن احتقر أبدا الولاء يا كايرو» .

قالت كايرو : « قالت ياسمين أنك تضايقت عندما أخبرتك عن والدى » .

قال ماكس : « نعم ، تبرمت وكنت أحكم بالمظاهر ، لأن مظهرك الفتان حولك يا كايرو . ولا يهم ما تريدينه أو ما تفعلينه » .

وأضاف : « ولأنك جميلة وواثقة من نفسك ظننت أنك مثل والدتى ، ولكن كان يجب أن أعرف الأمر بصورة أفضل . وكانت لدى الفرصة الكبيرة لأرى مدى شجاعتك وهزلك ، وعندما أخبرتنى ياسمين عن والدك أدركت مدى ولائك أيضا ، ولم يكن الشعور جيدا لأعرف مدى خطأى نحوك » . ونظر ماكس إلى وجهها واستطرد : « والدك محظوظ جدا . وإنى أحسده » .

قالت : « هل هذا حقا ؟ »

قال : « أنت تحبينه كثيرا جدا ، أليس كذلك ؟ »

قالت : نعم ، . أحبه كثيرا جدا » .

قال : « أنا لم أمنحك أى سبب لأن تحبينى . لم أدللك مثل والدك . لقد صرخت فيك وانتقدتك وعملت أشياء عن عمد أملا فى أن تستسلمى وأن تثبتى أنك مثل فتيات المدينة اللاتى قابلتهن . لكنك لم تستسلمى . إنك ضغطت على أسنانك وصعدت الهضبة ، ومشيت خلال الجراد وقمت بالحفر حول السيارة الجيب ، وكنت أشعر بصورة كبيرة إنى وقعت فى حبك ، ولم أكن أريد أن أقع فى حبك يا كايرو . لقد حاولت ذلك بقوة . لقد كنت مثل شوكة فى جنبى . كل

شيىء بك ذكرنى بوالدتى المدللة والأنانيه والسطحية . تذكرتك جيدا من الحفلة ، لاحظتك طوال الأمسية . وعندما ذهبت إلى الصحراء صممت على عدم حبك . فكل ليلة كنت ألف ذراعى حولك دون أن ألمسك وهذا ما جعلنى حاد الطباع؟!»

قالت : « ألم تتساءل لماذا كنت متشددة ؟ »

قال : « لا . لقد أعطيتك كل سبب لأن تكرهينى ، وأظن أنك تكرهيننى . عند البركة . . . تساءلت ، لكنك كنت مصممة على إنهاء العمل والعودة إلى الوطن ، وظننت أنك لا تستطيعين الانتظار للرحيل ، لذلك لم أحاول .

وعندما سألتك بعد تلك الليلة عند البركة أن تبقى رفضت ذلك ، لذا قررت أننى لابد أنى أخطأت فى التفكير . لم أكن أعرف أمر والدك آنذاك أو سبب شعورك بضرورة العودة للوطن » .

قالت كايرو : « لقد طلبت أن أبقى يوما واحد آخر . لم أستطع التخلى عن أى أحد لمدة يوم ، مهما كنت أريد البقاء » .

قال : « لم أكن أريد إخافتك بالحديث عن الأبدية . لا أستطيع أن أوفر لك نوع الحياة التى إعتدت عليها يا كايرو . فلست ذلك النوع من الرجال . فشعرت أننى لم أستطيع أن أطلب منك البقاء هنا معى فى الصحراء وأن تتخلى عن أى أحد وعندما شاهدت الطريقة التى تنظرين بها إلى فكرة فى أن أطلب منك ذلك على أية حال . لقد قلت ذات مرة أنك لم تتزوجى لأنك تنتظر رجلا يحبك بحق . . . »

صمتت وأخفق ماكس فى تفسير ذلك حيث قال : « هناك الكثير لتسأل عنه ، أنا أعرف ذلك . إنى أفهم ذلك . إنى أردت فقط أن تعرفى مدى ما أشعربه سوف أخذك إلى المطار الآن . لازال هناك وقت لتلحقى بطائرتك » .

قالت : « ماكس ؟ »

قال : « نعم ؟ »

نظرت كايرو إليه لحظة ، وتساءلت كيف تبدأ الشرح ثم مالت إلى الأمام وقبلته بلطف على زاويه فمه . وقالت : « لا أريد اللحاق بالطائرة ، لن أحق به .

نظرة عينيه جعلت قلبها يرتبك وقال : « هل هذا يعنى أنك ستبقين ؟ »

قالت : « نعم » .

قال : « هل تحبيننى ؟ »

ابتسمت كايرو أخيرا ابتسامة دافئة مشرقة أضاءت وجهها وقالت : « بشدة » اعترفت له بذلك ، وبعد لحظة كانت بين ذراعيه وقبلها بعمق قبلات حارة » حيث ذابت وتفجر الفرح فى قلبها وأمسكت برقبته حتى تستطيع أن تقبله أيضا . ثم قال ماكس : « تحبيننى فعلا وأمطر وجهها بالقبلات .

وقالت : « أخبرتك بأنى أحبك » .

قال : « وهل ستتزوجيننى ؟ سريعا ؟

قالت : « نعم . . نعم . لقد كنت يائسة بدونك » وأراحت رأسها على كتفه أخيرا . وقالت : « لا أطيق التفكير فى الرحيل دون حتى أن أقول إلى اللقاء» .

عندما رأت الطائرة تحلق فى السماء قالت : « ربما كنت على متن هذه الطائرة لو كنت قد وجدت تاكسيا . آه يا ماكس ، وربما لم أكن شاهدتك ثانية ! »

قال ماكس : « هل تظنين أنى كنت أترك هذا الأمر للحظ ؟ لقد دفعت لكل سائق فى مينيسيت الأجرة إلى المطار ليرفضوا توصيلك » .

قالت : « ماكس ! يالله من تبذير ! »

قال ماكس : « أعتقد أنك تستحقين ذلك ، ثم قبلها ثانية . وأظن أنى ربما أقنعك أن تتزوجينى لأجل مالى ! »

قالت مازحة : « يا للأسف ، إنك لم تنفق للحفاظ على الجيب فى حالة أفضل » .

قال : « إنها عادية ويمكن الاعتماد عليها » وأمسك بها بشدة وأضاف : «

لقد أمضيت طول الليلة تتملقين بروس ، أتتذكرين ، لقد كنت غيوراً وصممت أن أجعلك تعانين لأجل هذا ! »

قالت : « لقد عانيت ذلك فعلا ! » وتذكرت وهى تحفر حول العربة الجيب .

ضحك ماكس وقال : « كنت خنزيرا بالنسبة لك ذلك اليوم . وأخذ يدها وقبل راحة يدها

قالت : « لقد كنت حسيسا بدرجة كبيرة طول الوقت على الهضبة ، أما بالنسبة للعرض مع ياسمين . . . . حسن ! لقد عملت بجد لتنجح فى هذا ! »

قال : « سابدأ بأسرع ما يمكن عند وصولنا إلى البركة » .

قالت : « وعود . . . وعود ! »

ثم قبلها بعنف وقال : « إن لم نبدأ التحرك إلى البركة الآن ، فلن نصل إلى البركة الليلة » .

ثم وصلا إلى البركة وأمسكت كايرو بيد ماكس ووقفت تنظر إلى الأعماق الصافية وتفجر قلبها بالسعادة . أرادت الذهاب للسباحة ، وأصر ماكس على إقامة معسكر أولا . وقال : « لا نريد أن نتخبط فى الظلام ، ولدينا ما هو أفضل للقيام به . لنكن عقلاء الآن » .

قالت كايرو : « ليس لدى حقيبة نوم . فكنت أعتقد أننا سنبقى فى الفندق . لذا لم أحضر أى شىء مثل ذلك معى هذا الوقت » .

قال ماكس : « لدى واحدة زيادة » .

قالت : « إنك كنت متأكداً إذن منى » .

قال : « لم أكن متأكدا على الإطلاق يا كايرو . كنت آمل فى ذلك . ولم أكن واثقا مثلما كنت أتظاهر ، وكنت أخذك إلى المطار مباشرة إذا كان ذلك ما كنت تريدينه »

قالت : « لم أقرر الذهاب . ولكننى سأكون مضطرة للعودة للوطن بعض

الوقت يا ماكس . فمازلت أفكر فى والدى » .

وعندها ماكس : « سنعود سويا . وسندفع ديون والدك ، وتخبرين بيير بأنه عليه البدء فى شريكة أخرى . وإذا كان لديه عقل يقوم بتضمين جوانا فى مشروعاته . فهى لا تحتاج لأن تعمل ولكنه لو كان لديها عمل كهذا فربما يعطيهاجوانا بعض الثقة التى تحتاج إليها . ويمكنها مراقبة بيير بتلك الطريقة ! »

نظرت كايرو إليه بدهشة وقالت :

« هل هذا يعنى أنك لا تهتم ببيير بعد ذلك ؟ »

قال : « لقد كنت على حق حيث أننى حامى حمى جوانا . إنى أرعاها منذ أن كانت فى التاسعة وافترض أنى اعتدت على ذلك ، وربما تكون أفضل لو تركتها تعتنى بنفسها » .

قالت : « لا أظن أن المسكينة سيكون لديها فرصة لتكون مستقلة ، إن بيير مصمم على أن يرعاها أيضا ! »

قال ماكس : « إنه كتب لى ، وأنه قال إنه فهم إننى غير متحمس لفكرة زواجه بأختى ، لكنه أحبها ولن يدفعها لأى شيء قبل أن يثبت أنه حقق نجاحا فى عمله » .

تأفف ماكس وقال : « لو صممت جوانا على الزواج منه فإننى يمكن التمويل . وقال إنه علم إنني قابلت شريكته مس كنجسوود ورد أى مساعدة أستطيع منحها لها فى رحلتها القادمة إلى شوفرار وسيقدر ذلك تقديرا كبيرا ! »

ضحكت كايرو والتمست العذر لبيير حيث قالت : « لم أخبره بما قمت به من أجلنا فعلا » .

قال : « لأجلك ؟ كيف تجعلينى أشاهد تقديرك ؟ »

أنزلت كايرو ذراعيها وحركت أصابعها على ظهره ، وقالت : « إنى أفكر فى شيء ثم قبلته على رقبته وابتسم ماكس وبدأ يفك أزرار قميصه .

وقال : « إبدئى فى التفكير » .

وبدأت فى التخلص من الملابس حيث جذبها لتنام على فراش النوم وقالت : « أظن أننا كنا عقلاء وأقمنا المعسكر ؟ » ذكرته كايرو بذلك ، وهى تلهث تحت يديه الملتهبتين . وجذبها ماكس إلى جانبه وأحنى رأسه ليجد فمها ويطبق عليه بفمه . وقال : « يمكن الانتظار » .